البابا شنوده الثالث

كيف نبدأ عامًا جديدًا

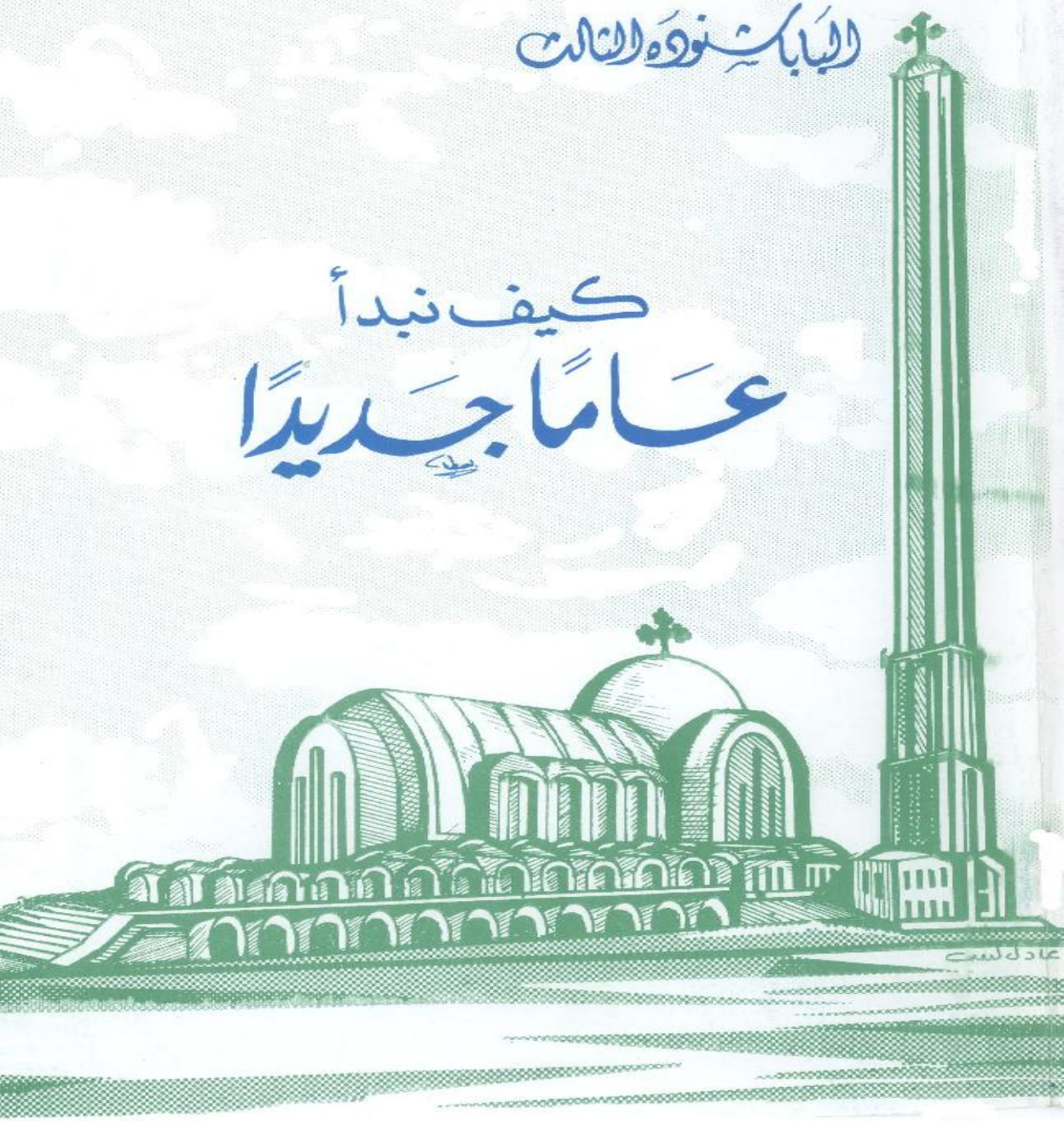

البابا شنوده الثالث

كيف نبدأ عامًا جديدًا

HOW TO START A NEW YEAR
BY H. H. POPE SHENOUDA III

قداسة البابا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

مثلث الطوبى قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الكسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

الكتاب : كيف نبدأ عاماً جديداً .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست ـ الكاتدرائية ـ العباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٥٦٩٦/١٩٨٢م .

مقدمـــــة

فى كل سنة كانت تمر علينا ، كنا نجتمع معاً ، لنتأمل كيف يجب أن نبدأ هذه السنة بداية روحية سليمة...

وبهذا وجدنا أنفسنا أمام محاضرات عديدة، بعضها ألقيت فى بداية العام الميلادى، وبعضها ألقيت فى بداية العام القبطى، سواء فى القاهرة أو فى الإسكندرية. وقد رأينا أن ننتقى للقارىء العزيز بعضاً من هذه المحاضرات، مقدمين بها أمثلة من المشاعر التى ينبغى أن تجول فى قلوبنا فى بداية العام.

ومن أمثلة هذه المشاعر : محاسبة النفس ، والخروج منها إلى لوم النفس وتبكيتها ، لنصل إلى التوبة، وليكون لنا قلب جديد وروح جديدة بعمل الله فينا.

فمن محاسبة النفس ، قدمنا لك موجزاً من محاضرتين فى آخر عام ١٩٧٤، ألقيت إحداهما فى القاهرة والأخرى فى الإسكندرية.

وعن لوم النفس قدمنا لك محاضرة ألقيت بالقاهرة فى ١٩٧٢/١٢/٢٩ .

أما محاضرة « قلباً جديداً وروحاً جديدة » فكانت يوم ١٩٧٦/١٢/٢٤ .

ورأينا أن نقدم فى العام الجديد محاضرة عنوانها بشرى مفرحة .

إذ لا ينبغى أن يكون الحديث كله عن التوبة ، وإنما يحسن أن تكون للناس فى بداية العام روح الفرح والإستبشار بعمل الله فيه. وقد ألقيت هذه المحاضرة فى الكاتدرائية الكبرى بالعباسية مساء الجمعة ١٩٧٦/١٢/٣١ .

ثم قدمنا لك محاضرة أخرى عن الوقت وأهميته ...

حتى يحرص الإنسان فى العام الجديد على كل دقيقة من وقته ليستغلها فى الخير والبناء والعمل الروحى، ولا يسمح أن تضيع حياته هباء، إنما يكون العام الجديد بالنسبة إليه عاماً مثمراً. وقد ألقيت هذه المحاضرة يوم ١٩٧٠/١٢/٣١، مع محاضرة أخرى بنفس العنوان فى ١٩٧٧/٢/٢٥ .

ومن ثمرة هذه المحاضرات السبع ، صدر هذا الكتاب .

شنوده الثالث

فهرست

صفحة

مقدمة ٥
١ ـ محاسبة النفس ٧
٢ ـ لوم النفس ١٣
٣ ـ قلباً جديداً وروحاً جديدة ٢٧
٤ ـ بشرى مفرحة ٤١
٥ ـ الوقت ٥٧

محاسبة النفس

عن محاضرتين : إحداهما فى الكاتدرائية الكبرى فى القاهرة الجمعة ٢٧/١٢/٧٤ مساء
والثانية فى الكنيسة المرقسية بالاسكندرية مساء الأحد ٢٩/١٢/١٩٧٤

باسم الآب والإبن والروح القدس ـ إله واحد آمين

نحن الآن فى آخر العام ، ونريد أن نبدأ عاماً جديداً .

ما تزال أمامنا بضعة أيام ، نريد أن نختم بها عامنا هذا ، الذى إن لم نكن قد جعلنا سيرته صالحة ، فعلى الأقل : ليتنا ننتهى من هذا العام بنهاية صالحة .

فكيف إذن ننهى عامنا هذا ، ونبدأ آخر؟

يحتاج كل منا إلى جلسة هادئة مع نفسه .

ما أكثر ما ينشغل الناس بحفلات رأس السنة وبرامجها والإعداد لها ، بحيث يكونون **فى مشغولية وزحام** ، وفى لقاءات واهتمامات ، لا تعطيهم فرصة على الإطلاق للجلوس **مع أنفسهم . وربما** فى هذه البرامج يسمعون محاضرات عن أهمية الجلوس مع النفس ، دون أن **يكون لهم وقت** للجلوس مع النفس . أما أنتم فليتكم تجدون وقتاً أو ترتبون وقتاً ، فى خلوة وهدوء ، تنفردون فيه بأنفسكم .

تفتشون هذه النفس ، وتفحصونها ، هى وظروفها كلها .

تكون جلسة **حساب** ، وربما جلسة عتاب ، أو جلسة عقاب ...

وتكون **جلسة تخطيط** للمستقبل ، تفكير فيما يجب أن تكونوا عليه فى العام المقبل ، **فى جو من الصلاة** ، وعرض الأمر على الله ، لكى تأخذوا منه معونة وإرشاداً ... جلسة **يناقش فيها الإنسان** كل علاقاته ، سواء مع نفسه أو مع الآخرين أو مع الله ، بكل **صراحة ووضوح** .

ويحاول أن يخرج من كل هذا بخطة جديدة للعام الجديد .

خطة عمل ، أو **خطة عملية** ، ومنهج حياة ... كما حدث للإبن الضال : إذ جلس إلى نفسه ، **وفحص حالته** ، وخرج بقرار حاسم لما ينبغى عليه أن يعمله .

أقول هذا ، لأن **كثيراً من الناس يعيشون** فى دوامة ، لا يعرفون فيها كيف يسيرون أو إلى أين **يسيرون** ، **يسلمهم الأمس إلى اليوم** ، و يسلمهم اليوم إلى غد ، وهم فى متاهة الأمس واليوم والغد ، **لا يعرفون إجابة من يقول لهم** : إلى أين ؟

أناس يعيشون فى غيبوبة عن روحياتهم وأبديتهم !

وخط سيرهم ليس واضحاً أمامهم . وربما يهتمون بتفاصيل كثيرة ودقيقة . ولكن الهدف تائه من أمامهم . والخيوط التى تشدهم إلى واقعهم هى خيوط قوية ، كأنها سلاسل لا ينفكون منها . لذلك هم فى حاجة إلى جلسة هادئة مع النفس ، يفحصون فيها كل شىء ، بكل تدقيق وبكل صراحة ، و يصلون إلى حلّ ...

إنى أعجب من أشخاص يأخذون عطلات من أعمالهم لأسباب كثيرة ، ربما لزيارة أو مقابلة أو لسفر أو رحلة ، أو لمجرد الراحة أو الترفيه عن النفس ... بينما لم أسمع عن أحد أنه أخذ عطلة من عمله ، لكى يجلس مع نفسه و يفحصها ... ! ولكى يحاسبها على عام طويل : ماذا فعلت فيه مما يرضى الله ، وماذا فعلت مما يغضبه ؟

إن بداية عام هى مناسبة هامة لمحاسبة النفس .

كثيرون من الروحيين يحاسبون أنفسهم فى مناسبات معينة : قبل الإعتراف والتناول مثلاً ، أو فى نهاية كل يوم ، أو بعد عمل معين يحتاج إلى فحص من الضمير. أما جلسة الإنسان فى نهاية العام ، فهى حساب إجمالى أو حساب عام ، يتناول فيه الحياة كلها .

ربما يفحص الخطايا المتكررة والمسيطرة فى حياته .

الخطايا التى تكاد تكون عنصراً ثابتاً فى اعترافاته ، ونقطة ضعف مستمرة فى حياته . و يفحص ما هى أسبابها ودوافعها ، وكيف يمكن أن يتخلص من هذه الأسباب ، وكيف يحيا بلا عثرة . إن الله عليه العمل الأكبر فى تخليصه ، ولكن لا شك أن هناك عملاً من جانبه كإنسان لا بد أن يعمله ، ليكون فى شركة مع الله .

وقد يفحص الإنسان صفاته الشخصية التى يتميز بها .

ولماذا ينبغى أن يتغير من هذه الصفات أو يستبدل بغيره ؟ وهل تحولت بعض الخطايا إلى عادات له ، أو إلى طباع أو صفات ثابتة ... كإنسان مثلاً ، أصبحت فى صفاته حساسية زائدة نحو كرامته ، فهو يغضب بسرعة و يثور بسرعة لأى سبب يمس أنه يمس هذه الكرامة ... وصار هذا طبعاً فيه ، أو صفة ثابتة ... وهو محتاج أن يغيّر هذا الطبع ، و يتخلص من هذه الحساسية ، و يصير واسع الصدر لطيفاً ومحتملاً ... هنا يفحص الصفة كلها ، وليس مجرد حادثة عارضة من تصرف غضبه ...

ليت جلستك مع نفسك تكون مرآة روحية لك ...

تعطيك صورة صادقة عن نفسك ، صورة طبيعية تماماً بغير رتوش ، بغير دفاع ، بغير تبرير ، بغير مجاملة للذات ، بغير تدليل للذات .

إنك قد تتأثر إذا كشفك إنسان وأظهر لك حقيقتك ، التى قد يجرحك معرفة الناس لها . ولكن لا تكون فى مثل هذا التأثر ، إذا ما كشفت نفسك بنفسك ، لكى تعرفها فتصلحها . ولكى تكشف أمراضها فتعالجها . لذلك فلتكن جلستك مع نفسك ، مثل أشعة تعطى صورة حقيقة للداخل ، وتكشف ما يوجد فيه .

لتكن جلستك مع نفسك ، جلسة ضمير نزيه ...

أو جلسة قاض عادل ، يحكم بالحق ، جلسة صريحة ، حاسمة ، وحازمة . وحاسب نفسك فى صراحة ، على كل شىء : خطايا الفكر ، خطايا القلب والرغبات والمشاعر ، خطايا اللسان ، خطايا الجسد ، خطاياك من جهة نفسك ومن جهة الآخرين ... علاقتك مع الله ، وتقصيراتك فى الوسائط الروحية ... الخطايا الخاصة بوجوب النمو : هل أنت تنمو روحياً أم حياتك واقفة ؟ لا تترك شيئاً فى حياتك دون أن تكشفه لتعرفه ، فتتخذ موقفاً تجاهه ...

إجلس إلى نفسك لتقيمها ، وتعيد تشكيلها من جديد .

إهتم بروحك ، وراجع حياتك كلها . لا تقل « هكذا هى طباعى » أو « هكذا هى طبيعتى » . كلا . فالذى يحتاج فيك إلى تغيير ، ينبغى أن يتغير . وليست طباعك شيئاً ثابتاً ، فكما إكتسبتها يمكن أن تكتسب عكسها . أما طبيعتك فهى صورة الله ومثاله . وكل ما فيك من أخطاء ، عبارة عن أشياء عارضة . فارجع إلى صورتك الإلهية ، فهى طبيعتك الحقيقية .

إمسك شخصيتك ، وأعد تشكيلها من جديد ، فى هذه الجلسة المصيرية التى تجلسها مع نفسك . والصفات الجديدة التى تلزمك ، إبحث كيف تقتنيها ، ولو بتداريب تغصب عليها إرادتك ، وتصارع فيها مع الله ليعينك .

وليكن العام الجديد ، عاماً جديداً فى كل شىء .

إحرص فى جلستك مع نفسك ، التى تجلس فيها مع الله ، أن تخرج منها وقد تغير فيك كل ما يجب تغييره من أخطاء ونقائص . تخرج منها بخط سير جديد فى الحياة ، وبطباع جديدة ، يحس بها كل من يختلط بك .

وحاول أن توجه كل طاقاتك توجيهاً سليماً ...

فمثلاً توجد فى داخل نفسك طاقة غضبية ، يمكن أن توجهها نحو نفسك فى أخطائها ، ويمكن أن توجهها نحو الناس . فاحرص أن يكون توجيهها سليماً ، بعيداً عن الذاتية ، خالصاً من أجل الله ، وبأسلوب روحى لا أخطاء فيه .

وفى داخلك أيضاً توجد طاقة حب ، حاول أن تجعلها تسير بتوجيه سليم ، فتكون لك أولاً ، وللخير ثانياً ، وللناس فى نطاق حب الله وحب الخير . وإحرص فى جلستك مع نفسك أن تجعل هذه الطاقة لا تنحرف . ولا تجعل حباً على حساب حب ...

كذلك كل مواهبك التى منحك الله إياها ، فلتكن موجهة توجيهاً سليماً لله والخير . كالذكاء مثلاً ، هو موهبة من الله . لا تتخذه للإضرار بغيرك ، أو للفخر والكبرياء ، أو لمجرد الإنتصار فى الجدل والمناقشة ، أو لتنفيذ رغباتك الخاطئة .

وليكن العام الجديد عاماً منتصراً فى حياتك ...

إستعرض فى جلستك مع نفسك النواحى التى تنهزم فيها روحياً . وقل لنفسك ينبغى أن أحيا حياة النصرة ، فلا أنهزم فى كذا وكذا ، بل يقودنى الرب فى موكب نصرته ، ويعطينى الوعود التى وعد بها الغالبين (رؤ ٢ ، ٣) .

ليكن عاماً فيه نمو روحى ، وتقدم وصعود إلى فوق ...

ولذلك قرر فى جلستك ، أن تبعد عن العثرات ...

وكل إنسان له فى حياته ما يعثره شخصياً ، فافحص ما هى عثراتك ، وابعد عنها « إن كانت عينك اليمين تعثرك ، فاقلعها والقها عنك ... وإن كانت يدك اليمنى تعثرك ، فاقطعها والقها عنك ... » (مت ٥ : ٢٩ ، ٣٠) . إلى هذا الحدة يريدنا الرب أن نبعد عن العثرات . فكن حاسماً فى هذا الأمر . وكما تبعد عن العثرات ، إحرص أيضاً أنك لا تكون عثرة لغيرك ... وتذكر قول الرب :

أذكر من أين سقطت ، وتب (رؤ ٢ : ٥) .

وفى ذلك لا تتساهل مطلقاً ، ولا تسامح نفسك ولا تدللها . وإن احتاج القيام من سقطتك ، أن تؤدب نفسك وتعاقبها حتى لا تعود إلى أخطائها ، فكن شديداً فى تأديبك لنفسك . وخذ حق الله كاملاً منها . لأنه ينبغى أن تحب الله أكثر من نفسك . لأنه قال : من ضيع نفسه من أجلى يجدها (مت ١٠ : ٣٩) وقال إنه من أجله ينبغى أن

تبغض حتى نفسك (لو١٤ : ٢٦) . فبذلك تحفظها لحياة أبدية ...

حاسب نفسك وبكتها . ولكن إحترس من شيطان اليأس ...

كن حكيماً فى محاسبتك لنفسك ، وحكيماً فى تبكيتها وتأديبها . وإن وجدت فى محاسبتك لنفسك أن الكآبة القاتلة ستملك عليك ، وتدفعك إلى اليأس ، تذكر حينئذ مراحم الله ، ووعوده ، وتحويله الخطاة إلى قديسين ... حينئذ يمتلىء قلبك بالفرح الروحانى ، كما قال الرسول : « فرحين فى الرجاء » (رو١٢ : ١٢) .

وفى جلستك مع نفسك ، لا تركز فقط على التوبة ، إنما تذكر أيضاً أنه مطلوب منا القداسة والكمال ، فقد أوصانا الكتاب قائلاً :

كونوا قديسين ... كونوا كاملين ...

« نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين ... لأنه مكتوب : كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (١ بط ١ : ١٥ ، ١٦) . وقال الرب أيضاً «فكونوا أنتم كاملين ، كما أن آباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) .

إن التوبة هى مجرد الخطوة الأولى إلى الله . وهنك خطوات أخرى كثيرة بعدها ، لنصل إلى حياة الكمال . فيجب ألا نركز على التوبة وحدها ، وإلاَّ كان جهادنا كله فى التخلص من السلبيات ، دون أن ننتقل عملياً إلى الايجابيات ...

إن ترك الخطية هو نقطة الإبتداء وعمل المبتدئين ...

فلا نقف إذن عند هذه النقطة ، وإنما ـ نتجاوزها سائرين نحو القداسة . أما إن كنا لم نصل بعد إلى عمل المبتدئين هذا ، فنحن إذن لسنا أعضاء فى جسد الرب كما أراد لنا أن نكون ... إن كنا ما نزال نقع ونقوم ، و بعد أن نقوم ، نقع مرة أخرى ، فنحن لم نصل إلى التوبة بعد . لا يا أخوتى لا يجوز أن تسير الأمور هكذا ...

لا يجوز أن نقضى حياتنا فى مرحلة التوبة ...

ليس من صالحنا أن نقضى عمرنا كله ، صراعاً ضد الخطية ، وجهاداً للوصول إلى التوبة . إنما علينا أن نسرع فى الطريق لنصل إلى الله ، ونتمتع بعشرة الملائكة والقديسين ... وننمو فى درجات القداسة وفى طريق الكمال .

وليكن هذا العام مباركاً عليكم ... يعطيكم الرب نعمة فيه ، توصلكم إليه .

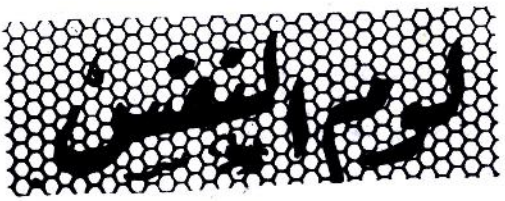

- لمعرفة حقيقة النفس ...
- لكى لا نـلوم الاخرين ...
- لتنقية النفس وإصلاحها..
- للمساعدة على الإعتراف ..
- للتوبة ونوال المغفرة ...
- للحصول على الاتضاع ..
- لكسب فضيلة الدموع ..
- للصلح والسلام مع الناس..
- للنمـــو الروحى ...

محاضرة القيت فى الكاتدرائية الكبرى مساء الجمعة ٢٩/١٢/١٩٧٦

باسم الآب والإبن والروح القدس ، الإله الواحد آمين

هوذا نحن على أبواب عام جديد ، ومن المعروف أن كل إنسان يجب أن يبدأ عامه الجديد بالتوبة والنقاوة ، وطبعاً يبدأه بالإعتراف . وهذا الأمر يحتاج منه إلى جلسة مع نفسه لكي يحاسبها و يلومها على أخطائها .

لذلك أحب أن أقول لكم كلمة مختصرة عن فضيلة لوم النفس .

لأن الذى ليست له فضيلة لوم النفس ، لا يعرف أن يجلس مع نفسه . وإن جلس مع نفسه لا يستفيد .

ومادام لا يلوم نفسه ، إذن فسوف لا يعترف بخطاياه ، و بالتالى سوف لا يتوب ، و يظل العام الجديد كسابقه ، بنفس أخطائه ! لذلك أود أن أكلمكم عن أهمية لوم النفس ، وعن الفضائل التى يحصل عليها الإنسان من لومه لنفسه .

١ معرفة حقيقة النفس

الذى يلوم نفسه ، يستطيع أن يعرف حقيقة نفسه ...

كثير من الناس نفوسهم مغلفة بالتبريرات والأعذار والفهم الخاطىء . وهم لا يلومون أنفسهم ، لأنهم يدللون أنفسهم ، و يعذرون أنفسهم فى كل شىء . إنهم لا يقبلون إطلاقاً أن يأتوا باللائمة على أنفسهم ، لذلك لا يعرفون حقيقة ذواتهم . وقد تبقى ذات كل منهم جميلة فى عينيه ، على الرغم من كل نقائصها !

مثل هذا الإنسان ، الذى لا يلوم نفسه ، وبالتالى لا يعرف حقيقة نفسه ، هو محتاج أن يأتيه اللوم من الخارج .

هو فى مسيس الحاجة إلى إنسان من الخارج يلومه ، و يعرفه حقيقة نفسه ، و يفهمه أخطاءه ومواضع الزلل فى تصرفه ، بل و يعرفه مقدار عمق خطيئته ، و يبكته عليها مادام ضميره لم يبكته .

وقد فعل الله هذا مع داود ، حينما أرسل إليه ناثان ، ليلومه و يعرفه كم هو مخطىء ، و يقنعه أن يقول « أخطأت إلى الرب » (٢صم ١٢ : ١٣) .

وفى مرة أخرى ، لم يكن داود يلوم نفسه أيضاً ، فأرسل له الله أبيجايل لتعرفه مقدار الخطأ الذى كان هو مزمعاً أن يقع فيه ، لكى تمنعه عن ذلك . وفعلاً

إستجاب داود وقال لها «مبارك عقلك، ومباركة أنت، لأنك منعتنى اليوم عن إتيان الدماء وانتقام يدى نفسى» (١صم ٢٥ : ٢٣).

إذن إن كان الإنسان لا يلوم نفسه على أخطائه، بعد فعلها، أو على أخطائه التى هو مزمع أن يفعلها، فقد يرسل له الله من يلومه، كما أرسل أبيجايل وكما أرسل ناثان. ولكن الأفضل أن يكون القلب من الداخل سليماً، فيلوم الإنسان نفسه. ولذلك قال القديس مقاريوس الكبير:

أحكم يا أخى على نفسك، قبل أن يحكموا عليك.

إن حكمت على نفسك، فإنك سوف تعرف حقيقتها وكم هى خاطئة. وإن عرفت حقيقة نفسك، فإنك سوف تدينها وتحكم عليها. هذه توصل إلى تلك...

كل إنسان لم يحكم على نفسه، ولم يلم نفسه، هو إنسان لم يعرف نفسه بعد: لم يفحصها، لم يحاسبها، لم يكن صريحاً معها.

هناك فائدة أخرى للوم النفس، وهى:

٢ عدم إدانة الآخرين

إن الذى يلوم نفسه، ينشغل بها وبتقويمها. وفى خجله من أخطائها، لا ينظر إلى خطايا غيره. وفى ذلك قال القديسون:

الذى ينشغل بخطاياه، لا يكون له وقت يدين فيه خطايا أخيه.

إن استطاع أن يبصر الخشبة التى فى عينه، يخجل من التحدث عن القذى التى فى عين أخيه... وإنما كلما تحدث عن غيره، يقول: هذا أفضل، وهذا أبر منى. ومهما كانت خطايا فلان، فإن خطاياى أنا أكثر وأبشع...

أما الشخص البار فى عينى نفسه، فإنه يجلس و يلوم الآخرين!

وربما فى نقائصه وعيوبه، يأتى باللائمة على غيره.

فإذا أخطأ يأتى باللائمة على الناس، وعلى الظروف، وعلى البيئة...

على الناس الذين أوقعوه فى الخطيئة، كما حدث لآدم إذ ألصق السبب فى خطيئته بحواء... وقد يلصق الإنسان السبب، بالظروف المحيطة، كما برر إيليا هروبه بقوله للرب «قتلوا أنبياءك بالسيف... وهم يطلبون نفسى ليأخذوها» (١مل ١٩ :

١٤)... وقد يلصق السبب بالبيئة، كما حدث أن أبانا إبراهيم قال عن زوجته ساره إنها أخته! ثم حاول أن يغطى ذلك بقوله «إنى قلت: ليس فى هذا الموضع خوف الله البتة، فيقتلوننى لأجل إمرأتى» (تك ٢٠: ١١).

ولو كان إبراهيم يلوم نفسه ما قال هذا. وكذلك لو كان أبونا آدم يلوم نفسه، ما لام حواء، ولو كان إيليا النبى يلوم نفسه، ما لام الظروف!

ولكن الإنسان يلوم غيره ويدينه، لكى يبرر نفسه.

لأنه لا يريد أن يلوم نفسه، ولا يريد أن يلومه الناس، فيلصق خطيئته بغيره، ليخرج هو بريئاً...!

كثيرون يغسلون أيديهم بالماء، كما فعل بيلاطس وقال «أنا برىء ...» «برىء من دم هذا البار». أترى استطاع ذلك الماء أن يبرىء بيلاطس؟!

خير للإنسان أن يلوم نفسه، من أن يبرر نفسه.

والذى يلوم نفسه، يعرف ضعفه، فيعذر غيره ولا يدينه.

كما حدث للقديس موسى الأسود، الذى رفض أن يدين راهباً مخطئاً عُقد له مجمع لإدانته. حمل هذا القديس على ظهره كيساً مملوءاً بالرمل ومثقوباً. ولما سُئل فى ذلك قال «هذه خطاياى وراء ظهرى تجرى، وقد جئت لإدانة خطايا أخى...»!

الذى يلوم نفسه، إن سُئل عن خطايا شخص آخر، يقول لسائله: إسألنى عن خطاياى أنا. أما ذلك الإنسان فهو أبر منى. أخاطىء هو؟ لست أعلم (يو٩: ٢٥).

الذى يلوم نفسه، لا يقسو فى الحكم على خطايا الآخرين، كما فعل الفريسيون الذين طلبوا رجم المرأة الخاطئة، فقال لهم السيد المسيح:

من كان منكم بلا خطية، فليقذفها أولاً بحجر (يو ٨: ٧).

ذلك لأن الذى يقذف بالحجارة، إنما يظن فى نفسه أنه بلا خطية، أو على الأقل يكون فى ذلك الحين ناسياً لخطاياه، وليس فى وضع من يلوم نفسه. أما الذى يلوم نفسه، فإنه يقول فى فكره «من أنا حتى ألوم الناس؟ أنا الذى فعلت كذا وكذا... الأولى بى أن أصمت مادام الله قد سترنى... ترى لو سمح الله أن أنكشف، أكنت أستطيع أن أتكلم.

هذا شعور من يضع خطيئته أمامه فى كل حين (مز ٥٠) .

ولكن للأسف فإن كثيرين ، من أجل راحة نفسية زائفة ، أو من أجل كبرياء داخلية ومجد باطل ، وليس من أجل أبديتهم ، لا يحبون أن يتذكروا خطاياهم ، ولا أن يلوموا أنفسهم ، كما لا يقبلون أن يأتيهم اللوم من آخرين ! ... يحبون أن ينسوا خطاياهم ، وفى نفس الوقت يذكرون خطايا الناس ... ! وما الفائدة لهم من كل هذا ، سواء فى السماء أو على الأرض ؟! لا شىء . حقاً ما أجمل قول القديسين :

إن دِنّا أنفسنا ، رضى الديان عنا .

من فوائد لوم النفس أيضاً : إصلاح الذات وتنقيتها .

(٢) إصلاح الذات وتنقيتها

الذى يلوم نفسه ، يكون مستعداً لإصلاح ذاته .

ما دمت أعرف أن هذه خطية ، يكون عندى إذن إستعداد لكى أتركها . ولكن كيف يمكن لإنسان أن يترك شيئاً ، مادام لا يلوم نفسه إطلاقاً على عمله ؟! إذن لوم النفس يسبق بلا شك تنقية النفس من أخطائها . هو خطوة أولى إلى التوبة .

أما تبرير الذات ، فهو شيطان يلتهم التوبة ويفترسها .

إن وجد الشيطان إنساناً يلوم نفسه ، ويريد أن يترك الخطية ويتوب ، يحاول الشيطان أن يخرجه من هذا النطاق الروحى ، ويقول له : لا تظلم نفسك بلا داع . فى أى شىء أخطأت ؟ إن الموقف كان طبيعياً جداً . لك عذرك فى هذا الأمر . والمسئولية تقع على فلان وفلان . أو أن الظروف كانت ضاغطة . والضغوط الخارجية إضطرتك إلى هذا . والناس مقدرون هذه الظروف ، والرب يقدرها . فلا تحزن نفسك بلا سبب ... !

هذا هو كلام الشيطان ، أسلوب تبرير الذات . أما القديسون فيقولون :

فى كل ضيقة تحدث لك ، قل هذا بسبب خطاياى .

إنك لن تخسر شيئاً إذا لُمت نفسك . بل إن هذا يقودك إلى التوبة إن كنت مخطئاً ، وينميك روحياً إن كنت بريئاً .

فى إحدى المرات زار القديس البابا ثاؤفيلس جبل نتريا ، والتقى بأب الرهبان المتوحدين فى هذا الجبل ، وسأله كأب عن أعظم الفضائل التى أتقنوها طول ذلك الزمان فى الوحدة ، فأجابه القديس أب رهبان نتريا :

صدقنى يا أبى لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان باللائمة على نفسه فى كل شىء...

فائدة أخرى للوم النفس ، وهى أنه يساعد على الإعتراف :

٤ انها تساعد على الاعتراف

ما هو الإعتراف فى معناه الروحى ؟

الإعتراف هو أن يدين الإنسان نفسه ...

يدين الإنسان نفسه أمام الله ، فى سمع الأب الكاهن ، **لينال المغفرة . فإن** كان الإنسان **لا** يلوم نفسه ، **كيف** سيعترف إذن **وكيف ينال المغفرة؟**

الخطوة الأولى هى بلا شك ، أن يدين نفسه فيما بينه وبين **نفسه ، فى داخل قلبه** وداخل فكره . حينئذ يمكنه أن يعترف بهذه الخطية أمام الله فى **صلواته ، ثم يمكنه أن** يعترف بها أمام الكاهن... أما الذى يفقد الخطوة الأولى ، التى هى لوم النفس ، **فمن** الطبيعى أنه سيفقد باقى الخطوات...

ولذلك ، فالذى لا يلوم نفسه ، لا يعترف ... على الأقل لا يعترف بالنقط التى لا يلوم نفسه عليها... وقد يجلس مع أب الإعتراف وقتاً طويلاً ، ومع ذلك لا يعترف... وكيف ذلك ؟

بعض الناس تتحول إعترافاتهم إلى شكوى ، ضد غيرهم !

هم يشكون ظروفهم ، فى البيت ، أو فى العمل ، أو فى الكنيسة... مثل زوجة تجلس مع الأب الكاهن لتعترف ، فتحكى سوء معاملة زوجها **لها . فتعترف بخطايا** زوجها ، وليس بخطاياها هى . أو تعترف بمشاكل ومتاعب تحيط بها . **أما نفسها** فلا تقول عنها شيئاً ، لأنها لم تجلس أولاً لكى تلوم نفسها قبل الإعتراف !

وهناك من فى اعترافه ، يدين أب الإعتراف نفسه !

يقول له : إنت يا أبانا مقصر فى حق ، لا تفتقدنى ، لا تهتم بى ، لا تعطينى

تداريب روحية، لا تحل مشاكلى، لا تتابع حياتى الروحية، لا تصلى من أجلى لأن خطاياى ومشاكلى مازالت كما هى باقية... أنت يا أبى لا تسأل عنى... !

فهل هذا يمكن أن نسميه إعترافاً ؟! حيث ينسى الإنسان نفسه ونقائصها، ولا يلوم نفسه... بل يجعل سبب ضعفاته، عدم إهتمام أب الإعتراف به. فيلوم أب الإعتراف، بدلاً من أن يلوم نفسه...

ثم بعد ذلك يطلب تحليلاً ... ! تحليلاً عن ماذا ؟!

إننا نريد أن تبدأوا هذا العام بالإعتراف السليم.

بلوم النفس أمام الله، فى إقتناع كامل بكل أخطائها ونقائصها، وبدون تقديم أعذار أو تبريرات للتخفيف من ثقل خطاياها... ولا نقف أمام الله لنشكو غيرنا، إنما لنشكو أنفسنا التى تعدت كثيراً على وصاياه...

لذلك إجلسوا إلى أنفسكم وحاسبوها، وفتشوا على نقائصكم.

حاولوا أن تبصروا كل ما فيكم من عيوب، لكى تستطيعوا أن تتخلصوا منها وتتنقوا... فالجلوس مع النفس هو تمهيد للوم النفس. ولوم النفس هو تمهيد للإعتراف والتوبة. وهذا ما نريد أن نبدأ به عامنا الجديد...

نلوم أنفسنا أمام ذواتنا، وأمام الله، وأمام الأب الكاهن ...

وهكذا لوم النفس يقودنا إلى المغفرة. وهذه فائدة أخرى.

٥ يقود إلى المغفرة

ما الذى يغفره لك الله ؟ هو ما تعترف بأنك أخطأت فيه.

أما الذى تقول إنك لم تخطىء فيه، طبيعى إنك لا تطلب عنه مغفرة، وبالتالى لا تنال مغفرة عنه إن كان فى واقعه خطأ.

إن كنت تعرف أنك مريض، فسوف تسعى إلى الطبيب لكى تشفى... وأما إن أصررت على أنك سليم وصحيح، فحينئذ ستسمع قول الرب:

لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى (مت ٩ : ١٢).

إن العشار الذى لام نفسه وقال « إنى خاطىء » إستحق أن يخرج من الهيكل مبرراً، بعكس الفريسى الذى لم يجد شيئاً يلوم عليه نفسه فقال: أشكرك يارب إنى

لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناه (لو١٨ : ١١) .

حقاً ما الذى يمكن أن يغفره الله لهذا الفريسى (البار) ؟!

أية خطيئة يغفرها لهذا البار فى عينى نفسه ، الذى لم يعرض خطيئة واحدة أمام الله طالباً عنها مغفرة... لو كان خاطئاً مثل العشار، لكان يطلب الرحمة مثله . ولكنه يفتخر قائلاً إننى «لست مثل هذا العشار» . لم يعترف بخطايا تحتاج إلى غفران ، ولم يطلب غفراناً . فأبعد نفسه عن المغفرة وعن التبرير بدم المسيح .

كذلك لم يقل الكتاب إن الله قد برر الإبن الأكبر ، الذى هو أيضاً لم يجد شيئاً يلوم عليه نفسه ، بل أكثر من هذا غضب وألقى اللوم على أخيه وعلى أبيه فقال له «أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أخالف وصيتك . وجدياً لم تعطنى قط لأخرج مع أصدقائى...» (لو١٥ : ٢٩) .

حقاً أية مغفرة تعطى لمن يقول : قط لم أخالف وصيتك .

ونفس هذا الإبن لم يطلب مغفرة ، لأنه لم يجد فى تصرفاته خطأ واحداً يحتاج إلى مغفرة !!

أما أخوه الأصغر فقد تبرر لأنه لام نفسه وقال لأبيه «أخطأت إلى السماء وقدامك . ولست مستحقاً أن أدعى لك إبناً...» .

إذن إن كنت لا تدين نفسك فأنت تبدو باراً فى عينى نفسك ، بينما السيد المسيح قد قال :

ما جئت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة (مت ٩ : ١٣) .

وبهذا تكون خارج نطاق المسيح ، ولم يأت لأجلك .

إنه جاء من أجل الخطاة . جاء يطلب ويخلص ما قد هلك (لو ١٩ : ١٠) .

جاء من أجل المرضى ليشفيهم . جاء ليبشر المنكسرى القلوب ...

فهل أنت من هؤلاء ؟ إنك تكون منهم فى حالة ما تلوم نفسك وتدينها . أما إن كنت ترى نفسك باراً ومحقاً ولا عيب فيك...

فكأنك تقول : لا شأن لى بدم المسيح وكفارته .

إن دم المسيح هو لمحو الخطايا . إعترف إذن بخطاياك ، لكى يكون لك نصيب فيه ، ولكى ينضح عليك بزوفاه فتطهر، وتنال المغفرة . لماذا تبعد نفسك عن دم المسيح وفاعليته ؟!

على أنني أقول لكم فى هذا المجال ملاحظة مؤلمة وهى :

كثيرون يقولون إنهم خطاة . وداخلهم لا يعترف بهذا .

كلمة « خاطىء » قد يقولها الواحد منهم عن نفسه ، بشفتيه فقط ، ليبدو متضعاً . ولكنه فى داخل نفسه غير مقتنع بأنه مخطىء . وإن قلت له إنك مخطىء ، يثور عليك ، ويدافع بشدة عن نفسه ...

ونحن لا نقصد أن يلوم الإنسان نفسه ملامة باطلة زائفة .

فهذه الملامة الشكلية الباطلة ، هى غير مقبولة أمام فاحص القلوب والكلى ... إنما حينما نقول لك أن تلوم نفسك ، نقصد أن تكون مقتنعاً فى أعماقك إقتناعاً كاملاً بأنك مخطىء . وهذا اللوم الحقيق للنفس هو الذى به تستحق المغفرة ...

لوم النفس يقود إلى المغفرة . ويقود إيضاً إلى الإتضاع ...

٦ يقود إلى الإتضاع

الذى يلوم نفسه ، يصل إلى الانضاع وانسحاق القلب ، ولا يكون كبيرا او باراً فى عينى نفسه ، لأنه بلومه لنفسه يدرك نقائصه وضعفاته .

الشخص المتضع ، باتضاعه يصل إلى لوم النفس .

والذى يلوم نفسه ، يصل بذلك إلى الإتضاع .

كل واحدة من هاتين توصل إلى الأخرى ، لأنهما مترابطتان . إن بدأت بأى منهما ، يمكن أن تصل إلى الأخرى . وكل واحدة منهما ، تكمن الأخرى فى داخلها .

إذ كيف يمكن لإنسان أن ينتفخ ، أو يفتخر بنفسه ، أو يكون باراً فى نظر نفسه ، بينما أخطاؤه ماثلة أمام عينيه ؟! يتذكرها فتنحنى نفسه فى داخله ...

والمتضع الذى يلوم نفسه ، لا شك يشفق على غيره .

إنه يدرك تماماً ضعف النفس البشرية أمام هجمات الشيطان وحيله ودهائه وإغراءاته ، لذلك فإنه يعذر كل من يسقط ، ولا يقسو عليه مطلقاً فى أحكامه ، متذكراً قول القديس بولس الرسول :

« أذكروا المقيدين ، كأنكم مقيدون معهم » .

« واذكروا المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد » (عب ١٣ : ٣) .

من أجل الأمور فى الحياة الروحية ، أنك تكون شديداً على نفسك ، تلومها فى كل خطأ . وعلى العكس من الناحية الأخرى ، تكون شفوقاً على المخطئين ، تحاول أن تعذرهم بقدر ما تستطيع ...

وكما يقود لوم النفس إلى الإتضاع ، يقود أيضاً إلى الدموع ...

(٧) يقود إلى الدموع

الذى يتذكر خطاياه ، ويحزن عليها ، و يبكت نفسه عليها ، يؤهل لموهبة الدموع . والدموع تغسل نفسه من كل خطية ، وتجعله منسحق القلب ، قريباً إلى الله .

أما الذى لا يلوم نفسه ، فعيناه باستمرار جافتان ، مع قسوة فى القلب ...

المرأة الخاطئة ، فى تذكرها لخطاياها ، بللت قدمى الرب بدموعها فى بيت الفريسى . وكانت دموعها مقبولة أمام الله ، فنالت المغفرة ... ونحن نتذكر دموع هذه المرأة فى صلاة نصف الليل ، فيصرخ القلب قائلاً « إعطنى يارب ينابيع دموع كثيرة ، كما أعطيت فى القديم للمرأة الخاطئة ... » (لو٧ : ٣٨) .

من فوائد لوم النفس ، أنه يؤدى إلى التوبة ، وإلى الإتضاع والإنسحاق والدموع . كذلك هو يؤدى إلى الصلح والسلام مع الناس .

(٨) الصلح والسلام مع الناس

الذى يلوم نفسه يمكنه ان يعيش فى سلام دائم مع الناس .

حتى إن حدث خلاف ، فبلوم النفس يسهل أن يتم الصلح .

إن الخصومة تشتد ، حينما يصر كل من الطرفين على موقفه ، و يبرر نفسه مدعياً أن الحق فى جانبه ، وأن الجانب الآخر هو المخطىء . أما إن سلك أحدهما باتضاع ، وأتى بالملامة على نفسه فى هذه الخصومة ، حينئذ ما أسهل أن يتم الصلح ... فالخصم لا يحتمل أن يسمع منك عبارة :

« حقك علىّ . أو أنا غلطان » .

أو قولك له « أنا آسف جداً ، لأنى آلمتك أو أحزنتك » ... وكما قال الحكيم

أن « **الجواب اللين يصرف الغضب** » (أم ١٥ : ١) .

إن كثيراً من الذين يعاتبونك ، **أو غالبية الذين يعاتبونك ، أو كل الذين** يعاتبونك ، إنما يريدون أن يسمعوا منك **كلمة واحدة ، تلوم بها نفسك ، وتعطيهم** الحق ، فينتهى الموضوع عند هذا الحد . وإلا ...

فإن تبرير النفس يقود إلى العناد . والعناد يشعل الخصومات .

إن الذى يلوم نفسه ، لا يعاند ، ولا يقاوم ، **ولا يخاصم ، ولا يجادل كثيراً ،** ولا يرد على الكلمة بمثلها أو بما هو أقسى ... إنما **يسلك مسالماً للناس ، مراضياً** لخصمه مادام معه فى الطريق ... (مت ٥ : ٢٥) .

إن شيطان الغضب ، وشيطان الخصومة ، وشيطان العناد ، وشيطان الكبرياء ، كل أولئك يقفون فى حيرة كل الحيرة أمام الشخص الذى عنده **فضيلة لوم النفس ،** لا يعرفون كيف ينتصرون عليه . بل هم يصرون على أسنانهم فى غيظ ، مهزومين أمام هذا الذى لا يبرر نفسه أبداً ، ولا يغضب من أحد ، ولا يخاصم ولا يصيح ، وبالجواب اللين والكلمة الطيبة ، وجلب الملامة على نفسه ، يحل كل خصومة ، ويصرف كل غضب ...

إنه يعيش وديعاً هادئاً مسالماً ، يحبه الكل ...

فهو لا ينازع أحداً ، ولا يسمح لنفسه أن يغضب من **أحد ، مهما كان الحق فى** جانبه ، لأنه يلوم نفسه قائلاً : إن غضبت من هذا **الإنسان وثرت عليه ، أكون قد** فقدت فضيلة الوداعة ، وفقدت فضيلة الإحتمال ، **وفقدت فضيلة الحب** وفضيلة السلام مع الناس ... وأكون بهذا مخطئاً ...

وهكذا يلوم نفسه لا على أخطاء إرتكبها ، إنما على أخطاء يحذر نفسه من الوقوع فيها ...

وبهذا يكون حريصاً ومحترساً ، **وتتقدم نفسه نحو الكمال .**

وهذه فائدة أخرى من **فوائد لوم النفس فإنه :**

٩ يفتح أبواب الكمال والنمو

لوم النفس يساعد على التقدم فى الحياة الروحية . لأن كل **شىء** يلوم الإنسان

نفسه عليه، يحاول أن يتخلص منه، و يتنقى منه، وهكذا يتقدم فى حياته الروحية و ينمو.

كذلك يلوم نفسه فى فضائله، مقارناً إياها بمستويات أعلى.

كل فضيلة يمارسها، بدلاً من أن يفتخر بها، و يعطى مجالاً لشيطان المجد الباطل أن يختطفها منه ... نراه يقارن حالته بما وصل إليه القديسون فى هذه الفضيلة، فيرى أنه لا شىء إلى جوارهم، وأن كل ما فعله تافه و بسيط، ولا يقاس بتلك القمم العالية... فيلوم نفسه و يدفعها إلى قدام نحو الكمال، فينمو... وهكذا كان يفعل القديس بولس الرسول إذ يقول: ليس إنى قد نلت أو صرت كاملاً. ولكنى أسعى لعلى أدرك... أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت، ولكنى أفعل شيئاً واحداً... ونسأله ما هو؟ فيجيب:

أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام (فى ٣ : ١٢ ، ١٣).

لا يقصد أنه ينسى الخطايا التى فى الماضى، فقد كان يذكر دائماً أنه كان مضطهداً للكنيسة... إنما هو ينسى كل الفضائل التى أتقنها من قبل، لكى يمتد إلى ما هو قدام، ساعياً نحو الغرض. وفى كل فضائله كان يلوم نفسه بعبارة « لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ».

لهذا السبب، كان القديسون يعترفون بأنهم خطاة.

وهذه حقيقة واضحة ندركها كلما تأملنا فى بستان الرهبان، أو سير القديسين، أو صلواتهم: يعترفون باستمرار أنهم خطاة، بل و يبكون على خطاياهم... ونسأل أنفسنا ماذا كانت خطايا القديسين، وهم فى ذلك السمو؟ إنها ليست فقط خطايا الماضى التى غفرها الرب لهم... إنما بالأكثر، نظرهم إلى الفارق الكبير الذى بينهم و بين الكمال المطلوب، فيقول كل منهم مع الرسول:

لست أحسب نفسى أنى قد أدركت (فى ٣ : ١٣).

وهكذا يلوم النفس على حالتها، كان القديسون يمتدون نحو الكمال ...

أما الذى لا يلوم نفسه، أو يرضى بحالته التى هو فيها، فإنه قد يعيش جامداً، مجمداً فى الوضع الذى هو فيه، لا يتحرك منه إلى قدام... لا يفكر فى وضع أفضل، ولا يسعى إلى درجة أعلى، لأنه راضٍ عن نفسه بما قد وصل إليه...!

مثل الذى استقر على مجموعة من المزامير يصليها، وانتهى به الأمر عند هذا الحد، دون أن يفكر فى إضافة شىء، ودون أن يفكر فى عمق الصلاة، وحرارتها، وما يمتزج بها من حب وإيمان واتضاع... والإمتداد إلى مستوى أعلى يعمق صلته بالله أكثر...!

ليتنا فى آخر هذا العام

نجلس إلى ذواتنا، ونفكر فى خطايانا، ونلوم أنفسنا على عيوبنا ونقائصنا، ونقارن ما وصلنا إليه بالمستويات العليا التى وصل إليها القديسون... ولا نعذر أنفسنا مهما كانت الظروف، بل نبعد عن تبرير الذات، لأن هذا لا يرضى الله، ولا ينقينا، ولا يقودنا إلى التوبة...

وفى كل ذلك نربط لوم النفس بفضيلة هامة جداً وهى:

(١٠) الحكمة والإفراز

ينبغى أن يرتبط لوم النفس بالحكمة والإفراز.

فلا يكون مجرد لوم ظاهرى بعيد عن الإقتناع الداخلى، لأن هذه الفضيلة ليست مجرد فضيلة لسان، إنما هى فضيلة قلب.

كذلك ينبغى ألا يقودنا لوم النفس إلى اليأس والتعب النفسى، إنما فى كل لومنا لأنفسنا نحرص على هذا:

أن يكون لوم النفس، ممزوجاً بالرجاء...

نلوم أنفسنا على أخطائها، ونحن مملوءون رجاء فى التخلص من هذه الأخطاء. ونلوم أنفسنا على ضعفها، ولنا ملء الرجاء فى قوة الله العاملة معنا المعينة لضعفنا... ونلوم أنفسنا على ضعف مستوانا، ولكن فى رجاء «نمتد إلى قدام». نقول «لست أحسب أنى قد أدركت»، وفى هذا أيضاً عبارة الرسول «ولكنى أسعى نحو الغرض. أسعى لعلى أدرك». نلوم أنفسنا لأننا سقطنا. ولكن يقول كل منا:

أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى (فى ٤ : ١٣).

إذن قف فى ختام هذا العام لكى تعد خطاياك أمام الله، وتبكت نفسك عليها أمامه، وتطلب عنها مغفرة... وفى ليلة رأس السنة، وكلما نقول (يارب ارحم) عدداً

من المرات... فى كل مرة أذكر خطية من خطاياك، فى ندم عليها، طالباً الرحمة من الله كما طلبها العشار فتبرر.

قل ذلك فى انسحاق قلب، وليس فى روتينية أو شكلية. واذكر العبارة التى قالها القديس الأنبا أنطونيوس الكبير:

إن ذكرنا خطايانا، ينساها لنا الله

وإن نسينا خطايانا، يذكرها لنا الله

أذكرها جميعاً إذن، واطلب من الله قوة، حتى تنتصر عليها فى المستقبل.

وفى لومك لنفسك أذكر أيضاً إحسانات الله إليك، واشكره ...

وابدأ العام بالشكر

مجرد أن الله أعطاك عاماً جديداً، أمر يستحق أن تشكره عليه، لأنه أعطاك فرصة للتوبة، أو لتحسين مستواك الروحى والإهتمام بأبديتك.

فى بداية العام أيضاً، أذكر إحسانات الله إليك.

تذكرها جميعاً واحدة فواحدة، واشكر الله عليها. واذكر مزمور الشكر (مز١٠٣) الذى قال فيه داود النبى «باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل إحساناته». وتأمل أيضاً فى عبارات صلاة الشكر...

ولا تشكر فقط على إحسانات الله إليك فى العام الماضى، إنما أيضاً فى كل أيام حياتك. وكذلك إحساناته إلى أحبائك (١) له المجد إلى الأبد آمين.

قلبًا جديدًا وروحًا جديدة

مزمور ٥١: ١٠

.. إنه عمل إلهي ...

.. حياة جديدة ...

.. كيف يحدث التغيير؟..

.. صراع مع الله ...

.. تصميم بالرجعة ...

ألقيت هذه المحاضرة في بداية عام ١٩٧٧ بالكاتدرائية الكبرى

باسم الآب والإبن والرُوح القدس ، الإله الواحد آمين

أهنئكم ببداية سنة جديدة . وأحب أن أقول لكم :

نريد أن تكون هذه السنة الجديدة ، جديدة فى كل شىء .

جديدة فى الحياة ، فى الأسلوب ، فى السيرة ، فى الطباع ...

يشعر فيها كل منا ، أن حياته قد تغيرت حقاً إلى أفضل . وكما قال الرسول « الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديداً » (٢كو٥ : ١٧) .

هناك أشخاص يعترفون ، ويتناولون ، ويقرأون الكتاب ، ويواظبون على حضور الكنيسة والإجتماعات الروحية ، ويمارسون كثيراً من وسائط النعمة ...

ومع كل هذه الممارسات الروحية ، ضعفاتهم ونقائصهم هى هى .

مازالت لهم نفس الطباع ، ونفس العيوب ، ونفس الشخصية ... لم يتغير فى حياتهم شىء . تراهم اليوم كما هم بالأمس ... لا فارق ! وفى السنة الجديدة كما فى السنة الماضية ... لا تغيير !

الإعتراف عندهم هو تصفية حساب قديم ، ليبدأ حساب جديد ، بنفس النوع ، وبنفس الأخطاء ، وبنفس العيوب والنقائص والسقوط !

ونحن لا ننكر قيمة الأسرار الكنسية وفاعليتها ، لمن يسلك فيها بطريقة روحية سليمة . فبلا شك الإعتراف له عمله ، والتناول له فاعليته ، وحضور الكنيسة له تأثيره . ولكن هؤلاء الأشخاص لم يأخذوا القوة الموجودة فى الأسرار ، إنما رأوها ، وجازوا مقابلها ... !

ونحن نريد أن نستغل هذا العام الجديد ، لنعمل فيه عملاً لأجل الرب ، ويعمل الرب فيه عملاً لأجلنا . ونقول فيه :

كفى يارب علينا السنوات القديمة التى أكلها الجراد .

تكفى السبع سنوات العجاف التى مرت علينا ، بلا ثمر .

ولا داعى لأن تستمر الضعفات القديمة ...

نريد أن نبدأ معك عهداً جديداً وحياة جديدة ، نفرح بك وبسكناك فى قلوبنا ، وتجدد مثل النسر شبابنا . فيهتف كل منا : إمنحنى بهجة خلاصك ... قلباً نقياً أخلق فىَّ يا الله . وروحاً مستقيماً جدد فى أحشائى (مز٥١) .

وأريد بهذه المناسبة أن أقرأ معكم بعض آيات هامة جداً فى هذا الموضوع من سفر حزقيال النبى .

ولاحظوا فى هذه الآيات ، أن الرب يحدثنا عن الدور الذى يقوم به هو من أجلنا ، وليس عن عملنا نحن .

إنه يقول : أرش عليكم ماءاً طاهراً ، فتطهرون من كل نجاساتكم . ومن كل أصنامكم أطهركم ...

وأعطيكم قلباً جديداً . وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم

وأنزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم

وأجعل روحى فى داخلكم

وأجعلكم تسلكون فى فرائضى ، وتحفظون أحكامى وتعملون بها

... وتكونون لى شعباً ، وأنا أكون لكم إلهاً

وأخلصكم من كل نجاساتكم ...

(حزقيال ٣٦ : ٢٥ - ٢٩)

إذن الله نفسه ، هو الذى سيعمل فينا هذا التغيير ...

هو الذى سينزع القلب الحجرى ، وهو الذى سيعطى القلب الجديد . وهو الذى سيسكن روحه القدوس فى قلوبنا . وهو الذى سيطهرنا من نجاساتنا ، ويخلصنا منها ... كل ذلك عبارة عن عمل إلهى هو...

حقاً إننا نتوه فى الحياة ، إن كان كل عمل التوبة فى نظرنا ، هو عمل ذراعنا البشرى الذى نتكل عليه !

و يقف الأمر عند هذا الحد ... !

وهكذا كلّت وضعفت وانهارت كل أذرعتنا البشرية ، ولم يتغير فينا شىء ، ولم نكمل الطريق... ونسينا قول الرب لنا «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم» (مت ١١ : ٢٨) .

أنا أريحكم . أخلصكم من كل نجاساتكم . أنزع منكم قلب الحجر. وأعطيكم

قلباً جديداً وروحاً جديدة. وأسكن فى قلوبكم... إنه عمل إلهى: **إن تركتموه**، واعتمدتم على سواعدكم البشرية، ستظلون كما أنتم... متعبين، وثقيلى الأحمال...

لذلك حسناً قال مار اسحق عن عمل الله فى التوبة:

« الذى يظن أن هناك طريقاً آخر للتوبة غير الصلاة، هو مخدوع من الشياطين »...

لا شك أن عدونا قوى... طرح كثيرين جرحى، وكل قتلاه أقوياء (أم ٧: ٢٦)... ولكن الله أقوى من عدونا هذا. وهو قادر أن يغلبه فينا، ويخلصنا من كل نجاساتنا، إن كنا نلجأ إلى معونته الإلهية.

لذلك فلنمسك بالرب فى بداية هذا العام الجديد...

نمسك به من أعماقنا، ونقول له: أنت لا تقبل يارب مطلقاً، أن يكون العام الجديد بنفس ضعفات وسقطات العام الماضى. مستحيل يارب أن ترضى بهذا. مستحيل! إذن فاعطنا قوة لكى ننتصر بها...

إننا سنتمسك بمواعيدك التى ذكرتها فى سفر حزقيال النبى.

لقد وعدتنا. وأنت أمين فى مواعيدك. حقق وعودك لنا...

قلت لنا على فم عبدك حزقيال « أعطيكم قلباً جديداً ». فأين هو هذا القلب الجديد؟

وقلت « أنزع منكم قلب الحجر ». وللآن لم ينتزع. فاعمل يارب عملاً. نفذ وعودك. **فلّح هذه الأرض.** وكما قلت فى القديم ليكن نور، فكان نور، ورأيت النور أنه حسن. قل أيضاً هذه العبارة مرة أخرى.

« أرنا يارب رحمتك، واعطنا خلاصك » (مز ٨٥ : ٧).

أعطنا هذا القلب الجديد، واعطنا تجديد أذهاننا (رو ١٢ : ٢).

ما أكثر الذين ساروا مع الرب، وأعطاهم أسماء جديدة، وكان ذلك رمزاً للحياة الجديدة، التى عاشوها معه...

إبرآم: أعطاه الرب إسماً جديداً هو إبراهيم،

وسارای : أعطاها الرب إسماً جديداً هو ساره ،

وشاول الطرسوسى : صار له إسم جديد هو بولس ،

وسمعان : صار إسمه الجديد هو بطرس ،

ولاوى : أعطاه الرب إسماً جديداً هو متى .

وكان كل ذلك رمزاً للحياة الجديدة التى عاشها كل هؤلاء القديسين مع الرب . وكان الإسم الجديد يذكّرهم بها .

مثلما نرسم كاهناً ، ونعطيه إسماً جديداً فى الكهنوت .

لكى يشعر أنه دخل فى حياة جديدة مكرسة للرب ، غير حياته الأولى . وأنه نال نعمة جديدة لم تكن عنده ، وأخذ سلطاناً جديداً لم يكن له . وصارت له مسئوليات جديدة قد وضعت على عاتقه ... بل حتى شكله يتغير من الخارج ، وملابسه تتغير . و يشعر أن شيئاً جديداً قد دخل فى حياته ... جعل هذه الحياة تتغير فى طابعها وأسلوبها ومسئولياتها ...

وأنت فى السنة الجديدة ، هل تشعر بتغيير فى حياتك ؟

لا تجعل هذه السنة تمر عليك ، وكل ما فيها من التغيير هو بعض التفاصيل البسيطة ... لا ، فالكتاب لم يقل تفاصيل . وإنما قال « أنزع قلب الحجر ، وأعطيكم قلباً جديداً ... » .

والسيد المسيح يشرح لنا طبيعة هذا التغيير ، فيقول :

« ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق . لأن الملء يأخذ من الثوب ، فيصير الخرق أردأ » .

« ولا يجعلون خمراً جديدة فى زقاق عتيقة . لئلا تنشق الزقاق ، فالخمر تنصب ، والزقاق تتلف . بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة ، فتحفظ جميعاً » (مت ٩ : ١٦ ، ١٧) .

إذن لا نضع رقعة جديدة على ثوب عتيق ...

أى لا تكون كل الجدة فى هذه السنة ، أن نضع تصرفاً روحياً ، أو تدريباً روحياً ، أو سلوكاً جديداً فى نقطة ما ... كل ذلك على نفس النفسية ونفس الطباع ، ونفس النقائص والضعفات . و يبدو هذا التصرف منا كرقعة جديدة على ثوب

عتيق... المطلوب إذن، هو أن يتغير الثوب كله.

تخلع الثوب العتيق، الذى هو قلبك الحالى بكل أخطائه ...

قلبك الخالى من محبة الله، الخالى من النقاوة والطهارة، بل الخالى حتى من مخافة الله، إذ تسكنه محبة العالم... هذا القلب كله، يجب أن ينزع من داخلك، ويحل محله قلب جديد. كما نقول فى صلواتنا، ونحن نصلى المزمور الخمسين:

« قلباً نقياً، إخلق فىَّ يا الله ».

ما معنى كلمة إخلق؟ ولماذا لم نقل رمم هذا القلب، أو أصلحه، أو جمّله؟ لماذا نقول «قلباً نقياً إخلق فىَّ يا الله. وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى»؟ أليس المعنى هو أننا نريد شيئاً جديداً... وليس مجرد رقعة من سلوك معين توضع إلى جوار طباعنا الحالية الخاطئة؟!

إنها عملية تجديد مستمرة نطلبها فى حياتنا كل يوم ...

تجديد الطبيعة نأخذه فى المعمودية (غل ٣ : ٢٧)، (رو ٦ : ٣، ٤). أما تجديد السيرة، وتجديد الذهن (رو ١٢ : ٢) فنأخذه فى التوبة باستمرار. فنقول «روحاً مستقيماً جدده فى أحشائى» (مز٥٠). ويرد علينا «يجدد مثل النسر شبابك» (مز١٠٣ : ٥).

إنها عملية تجديد مستمرة، يعملها الرب فى حياتنا، ونطلبها كل يوم فى مزاميرنا. وليست مجرد حادثة عارضة نذكرها فى تاريخ معين.

إنه تجديد يشمل القلب كله، والحياة كلها ...

ومن الأمثلة التى تناسبنا هنا : مثال الفحمة والجمرة :

تصور مثلاً قطعة سوداء من الفحم، كل من يلمسها يتسخ منها. هذه الفحمة دخلت فى المجمرة (الشوريا)، وتحولت من فحمة إلى جمرة... أخذت حرارة لم تكن فيها. وأخذت ضياء ولهيباً وإشراقاً لم يكن لها. بل حتى لونها الأسود صار يحمر ويتوهج. وبعد أن كانت وهى فحمة توسخ كل من يلمسها، أصبحت وهى جمرة تطهر.

مثال ذلك ما قيل من أن واحداً من السارافيم، لما سمع أشعياء يقول «ويل لى قد هلكت، لأنى إنسان نجس الشفتين...»، أخذ جمرة من على المذبح، ومسّ

بها فم أشعياء، وقال له «هذه قد مست شفتيك، فانتُزع إثمك» (أش ٦: ٧)... لأن النار تطهر كل شيء... النار التى ترمز إلى روح الله.

فهل أنت فى حياتك فحمة أم جرة ؟

هل دخل فى طبيعتك شيء جديد، بعمل روح الله النارى فيك؟ هل فى هذا العام الجديد، وضعك الله فى مجمرته المقدسة، وأصبحت تخرج منك رائحة بخور؟ هل تحس سكنى الله فيك و وعمل الله فيك؟

إن لم يعمل الله فيك، فباطل كل ما تعمله.

لا بد أن يسكن النور فيك، فلا تعود بعد ظلمة. ولا بد أن يسكن الحق فيك، فلا تكون باطلاً. لا بد أن تسكن فيك الحرارة، فلا تكون بارداً ولا فاتراً وهذه السكنى تغيِّر حياتك كلها...

كيف يدخل هذا التغيير إلى حياتك ؟

إنك لن تتغير بحق، إلا إذا دخلت محبة الله إلى قلبك.

إسأل نفسك بصراحة : ما سر عدم الثبات فى حياتك ؟ لماذا تقوم وتسقط، وتعلو وتهبط؟ ما السبب؟ ما هى مشكلتك الحقيقية فى حياتك الروحية؟ إن مشكلتك هى بكل صراحة :

إنك تريد أن تحب الله، مع بقاء محبة العالم فى قلبك.

فأنت تحب العالم، ولك فيه شهوات تعرفها. غير أنك - من أجل الله - تحاول أن تقاوم هذه الشهوات... تقاومها من جهة الفعل، مع بقائها من جهة الحب. فى قلبك إثنان لا واحد. ينطبق عليك قول أحد الأدباء :

« وكنت خلال ذلك، أصارع نفسى وأجاهد، حتى كأننى إثنان فى واحد: هذا يدفعنى. وذاك يمنعنى »...

مشكلتك إذن، هى هذه الثنائية التى تعيشها.

هذا الصراع الذى فيك بين محبة الله ومحبة العالم، بين الخير والشر، البر والفساد، الحلال والحرام.

ذلك لأن محبة الله لم تستقر بعد فى قلبك.

لا تتمسك إذن بالتفاصيل ، وتترك هذا الجوهر، أعنى محبة الله.

صارع مع الله فى بداية هذا العام ، وقل له :

« أريد يارب أن أحبك . أريد أن محبتك تسكن فى قلبى . أنا محتاج أن أحب الخير والقداسة ، أن أحب الفضيلة والحق » .

« لا أريد أن أضع أمامى الخير كوصية ، وإنما كحب ... » .

لا أريد أن يكون الخير وصية ، أكافح نفسى لكى أصل إليها. إنما أريد أن يكون الخير حباً ، أتمتع به...

أريد أن تكون وصيتك محبوبة لدىَّ . أجد فيها لذة. أذوقها فتشبع نفسى... مثلما قال داود النبى « باسمك أرفع يدى ، فتشبع نفسى كما من لحم ودسم » (مز ٦٢) ، « محبوب هو إسمك يارب ، فهو طول النهار تلاوتى » (مز ١١٩) ، « أحببت وصاياك أكثر من الجوهر الكثير الثمن » (مز ١١٩) ، « وجدت كلامك كالشهد فأكلته... أحلى من العسل والشهد فى فمى » (مز١١٩) .

هذا هو الأساس المتين ، الذى تبنى عليه حياتك الروحية...

من الصعب ومن المؤلم ، أن تكون حياتك صراعاً متواصلاً :

قيام وسقوط ، توبة ورجوع ، حياة مع الله وحياة مع العالم !

إذن قف وقل له : إنزع منى يارب هذه الشهوات الباطلة. إنزعها أنت بنعمتك ، بقوتك الإلهية ، بفعل روحك القدوس...

إنزع منى محبة العالم . إنزع منى القلب الحجر .

أنا أضعف من أن أقاوم . وقد دلت الخبرة على سقوطى فى كل حرب مهما كانت بسيطة. ليست لدىَّ أية قوة. ولست مستطيعاً أن أعتمد على نفسى. فادخل أنت إلى حياتى وانقذنى . إننى مثل إنسان مهدد بالموت ، فماذا أفعل ؟

إننى أمسك بقرون المذبح ، فى مدينة الملجأ ، لأجد حياة.

لأننى لو تركت قرون المذبح ، أقاد إلى القتل ، ولا قوة لى ... إن قلبى الذى يحبك ، أو الذى يريد أن يحبك ، لا تزال فيه محبة الخطية. لا تزال فيه الشهوة الفلانية تتعبه. وها أنا قد أمسكت بك...

ولن أتركك حتى أتمتع بالآية القائلة : أبيّض أكثر من الثلج .

ومتى أبيّض أكثر من الثلج ؟ عندما تغسلنى أنت ... إذن « إنضح علىّ بزوفاك فأطهر . واغسلنى فأبيّض أكثر من الثلج (مز ٥٠) .

نعم هذا الذى نقوله فى الكنيسة ، فى صلوات القداس الإلهى :

« طهّر نفوسنا ، وأجسادنا ، وأرواحنا » .

أنت الذى تطهرها ، لأنها لا يمكن أن تطهر بدونك ... أنت الذى ستطهر فينا النفس والجسد والروح . أنت الذى ستنزع هذه النفس الساقطة الخاطئة الملوثة ، وتعطينا بدلاً منها نفساً جديدة ... تعطينا روحاً جديدة ، وقلباً جديداً ، وترش علينا ماءً طاهراً فنطهر ...

أنت يارب منذ زمان ، رششت علىّ ماء طاهراً فطهرت ، ثم رجعت فلوثت نفسى . لكن لى أملاً فى قولك المعزى :

من كل نجاساتكم ، ومن كل أصنامكم ، أطهركم
وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم

نعم يا إخوتى ، ليتكم تحفظون هذه الآيات ، وتصارعون بها مع الله .

لتكن هذه السنة الجديدة ، سنة صراع مع الله :

تمسك بالرب ولا ترخه (نش ٣ : ٤) . وقل له كما قال أبونا يعقوب : لن أتركك ... لن أتركك حتى تباركنى (تك٣٢ : ٢٦) .

ما معنى عبارة « لا أتركك » ؟

معناها أن تكون طويل الروح فى الصلاة . لا تمل بسرعة من الطلبة ، ولا تضجر ، ولا تيأس مهما تأخر الرب عليك ... بل إمسك بالرب بقوة ... بدموع ، بطانيات ، بابتهالات ، بلجاجة ، بصراع مع الله ...

قل له : أنا يارب عاجز عن مقاتلة الشيطان ، الذى استطاع من قبل أن يسقط قديسين وأنبياء ...

لا تتركنى أنا الإنسان الترابى ، لأقاتل شيطاناً هو روح ونار.

أليس الشيطان ملاكاً قد سقط . وقد قال الكتاب « الذى خلق ملائكته أرواحاً ، وخدامه ناراً تلتهب » (مز ١٠٤ : ٤) . والشيطان وإن كان قد فقد قداسته ، إلا أنه لم يفقد طبيعته ، فمازال روحاً ونارا ، بكل ما للملاك من قوة . فمن أنا حتى أحاربه ؟!

إن كان القديس العظيم الأنبا أنطونيوس ، قد قال للشياطين :

« أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم » ...

فمن أنا حتى أدعى القوة ، وأقف وحدى لأقاتلهم ؟!

بصراحة تامة أنا يارب لا أقدر ...

فإن لم تدخل يدك الإلهية لتنقذ وتخلص ... إن لم يعمل روحك القدوس فى داخلى ... إن لم تنزع منى قلب الحجر ، وتعطينى قلباً جديداً وروحاً جديدة ... إن لم تنضح علىّ بزوفاك فأطهر ، وتغسلنى فأبيض أكثر من الثلج ...

إن لم تحقق مواعيدك ، فلن أتركك فى هذه الليلة ...

هكذا صارع مع الله . فكل الذين صارعوا معه ، نالوا ما يطلبون . قل له : أنا لن أتركك يارب فى هذا العام ، دون أن أنال قوة أنتصر بها . حتى لو تركتنى أنت ، فلن أتركك أنا . وإن تخليت عنى ، لن أتخلى عنك ...

قل له : أنا واقف لك فى هذه الليلة . لن أبرح سهرة رأس السنة ، دون أن أشعر بتغيير فى داخلى ، وآخذ قلباً جديداً .

إن لم تتصارع مع الله ، لا يشعر أنك جاد فى طلبك .

هذه اللجاجة فى الصلاة ، هى التى تقتدر كثيراً فى فعلها ...

أما أن تبحث فى بداية العام الجديد عن إرادتك وعن عزيمتك ، وتصدر قرارات من جهة ضعفاتك ونقائصك ... فهذا كله لن يفلح فى شىء ، إن لم يدخل الله معك ... فأكبر جهاد لك إذن تفتتح به هذا العام الجديد ، هو الصراع مع الله .

إن جاهدت مع الله ، لا تحتاج أن تجاهد مع نفسك .

لأنك فى صراعك مع الله ، سينزع منك قلب الحجر ، و يعطيك قلباً جديداً وروحاً جديداً . وحينئذٍ لا تحتاج أن تصارع ضد القلب الحجر ، إذ قد نزعه الرب منك وأراحك من متاعبه .

وحينئذٍ يشعر قلبك الجديد بلذة الحياة الروحية، فتذوق الله، وتستطعمه... وتحيا حياة جديدة...

ليتنا نأخذ الحياة الروحية بطريقة جدية.

وطلباتنا إلى الله تكون طلبات جدية ... بإلحاح شديد، برغبة قلب، بحرارة، بدموع، بصلابة، بشدة، بطلب مستمر... ونمسك بالرب ونقول له «لن أطلقك»... ونأخذ منه معونة. ولنأخذ لنا مثالاً صلوات داود النبي:

كان لا يترك الصلاة حتى يأخذ، فيحول الطلبة إلى شكر.

كان يكلم الله بدالة. وفي أثناء الصلاة يشعر بالإستجابة. يشعر بالإيمان أن الله قد عمل معه عملاً، وأنه قد أعطاه ما يريد. فيشكره وهو مازال يطلب.

لقد جرب داود في مزاميره كيف يصارع الله: باللجاجة، بالمودة، بالإقناع. جرب كيف يحنن قلب الله، وكيف يعاتبه في دالة ويقول له:

لماذا يارب تقف بعيداً؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيق (مز ١٠).

جرب داود كيف يحنن قلب الله بالدموع ويقول للرب «في كل ليلة أعوم سريري، وبدموعي أبلل فراشي» (مز ٦). ويقول له «إنصت إلى دموعي».

إختبر أيضاً النقاش مع الله، بأنواع وطرق شتى ...

نحن نحتاج في بداية العام الجديد أن نطلب معونة ...

إن كان الإنسان الذي تحاربه خطية واحدة، يحتاج إلى معونة للتخلص من هذه الخطية، فكم بالأولى أنا الذي تحاربني خطايا عديدة. لذلك أنا يارب محتاج إلى شحنة قوية أكثر من جميع الناس...

حسن أن أليشع النبي، طلب اثنتين من روح إيليا وليس واحدة (٢مل ٢: ٩). وأنا يارب مثله أريد معونة مضاعفة:

معونة تغطي على السلبيات، وأخرى تساعد على العمل الإيجابي.

الإنتصار على الخطية يحتاج بلا شك إلى معونة. والسير في الطريق الروحي وفي عمل البر يحتاج أيضاً إلى معونة... ونحن نطلب الأمرين معاً في بداية العام الجديد. وإن أرادهما الله في عمل واحد من أعمال روحه القدوس، فليكن لنا كقوله...

وماذا عن طلباتنا أيضاً فى العام الجديد ؟ لا شك نريد ثباتاً... نريد فيه تصميماً على الحياة مع الله ، تصميماً بلا رجعة .

فلا تدخل إلى العام الجديد ، وعيناك لاصقتان بالعام القديم فى كل شهواته وأخطائه ونقائصه . لا تكن مثل إمرأة لوط ، التى خرجت جسدياً من أرض سادوم ، وقد تركت قلبها هناك ، وعيناها لا تزالان متجهتين نحو سادوم... ولا تكن أيضاً مثل بنى إسرائيل ، الذين عبروا البحر الأحمر ، وخرجوا من أرض مصر . ولكن عقلهم لا يزال متعلقاً بقدور اللحم التى فى مصر ، وبالبطيخ والكرات... لكن أخرج من خطايا ذلك العام بغير رجعة .

وفى بداية هذا العام الجديد ، إحتفظ فى أذنيك وداخل قلبك بالعبارة التى قالها الملاكان للوط وهم يخرجونه مع أسرته من سادوم :

« لا تقف فى كل الدائرة . إهرب لحياتك » (تك ١٩ : ١٧) .

نعم ، لا تقف فى كل الدائرة القديمة ، بكل ما تحوى من خطايا وعثرات . وبكل ما فيها من ضعفات وسقطات . إهرب لحياتك . لا تنظر إلى الوراء ، ولا تمس نجساً... وقل للرب عن العام الماضى كله :

هذا العام الماضى كله ، سأدفنه يارب عند مراحمك الكثيرة...

سألقيه كله فى لجة محبتك . سأتركه فى المغسل الإلهى ، حيث يغسل الرب نفسى فتبيض أكثر من الثلج .

لست أريد من ذلك العام شيئاً . أنا متنازل عنه كله . حتى إن كانت لى فيه فضيلة معينة ، فهذه أيضاً لا أريدها .

كل ما أريده يارب ، هو أن أبدأ معك من جديد ...

أريد أن أنسى ما هو وراء ، وأمتد إلى قدام (فى ٣ : ١٣) .

أريد أن أبدأ معك بداية جديدة ، كما بدأت بنعمتك مع نوح ، بعد أن أزلت الماضى القديم كله ، وغسلت الأرض من أدناسها...

هذا الماضى القديم كله ، أنا متنازل عنه . يكفى اليوم شره (مت ٦ : ٣٤) .

أما العام الجديد ، فأريد أن أبدأه بالرجاء .

ربما يحاربنى الشيطان باليأس . ويقول أنت هو أنت ، فى يدى ، لا تخرج . ولن تستطيع أن تغيِّر طباعك القديمة أو تتخلص من نقائصك !

نعم ، أنا لا أقدر . ولكن الله يقدر . وأنا لى رجاء فى الله ، وفى عمله معى . وأنا لست وحدى فى هذا العام الجديد ، لأن الآب السماوى معى .

سأبدأ هذا العام الجديد ، ومعى روح الله القدوس ...

ومعى نعمة ربنا يسوع المسيح . ومعى معونة من الملائكة ومن أرواح القديسين ، ومن صلوات الكنيسة المنتصرة ...

ومعى أيضاً وعود الله الصادقة . معى وعود الله المحب الرؤوف ... والله أمين فى كل مواعيده ، لا يرجع عن شىء منها ...

وأنا سأتمسك بوعود الله ، وأطالبه بها ، وعداً وعداً :

يكفينى أن أضع أمام الله ما وعد به فى سفر حزقيال النبى . وأقول له فى دالة الحب : ألست أنت القائل « أعطيكم قلباً جديداً . وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم » (حز٣٦ : ٢٦) .

أين هو هذا القلب الجديد ، الذى وعدت به يارب ؟

وأين هذه الروح الجديدة ؟ سامحنى يارب واغفر لى ، إن قلت وأنا تحت أقدامك : أنت مديون لى بهذه المواعيد . وأنا سأطالبك بكلامك ... حقاً إننى مسكين وفقير ولا أملك شيئاً . ولكنى أملك مواعيدك . أملك محبتك المجانية التى وهبتنى إياها . أملك عهدك معى ، وقولك الإلهى : « من كل نجاساتكم ومن كل أصنامكم أطهركم » ، « أجعل روحى فى داخلكم ، وأجعلكم تسلكون فى فرائضى » (حز٣٦ : ٢٥ ، ٢٧) .

ولعل الرب يقول : أعطيتك قلباً جديداً ، فرفضت أن تأخذ !

أو لعله يقول « جعلت روحى فى داخلك . ولكنك أحزنت الروح ، وأطفأت الروح ، وقاومت الروح ». فأنت المديون بهذا كله .

نعم يارب أنا أعترف بهذا . ولكن لا تتركنى لضعفاتى . وإن أخطأت ، فلا تتركنى لخطاياى ، ولا تحاسبنى عليها ، وإنما إنقذنى منها . فأنت الذى قلت عن

سلبياتنا : « من كل نجاساتكم أطهركم » . وأنت الذى قلت عن الإيجابيات « وأجعلكم تسلكون فى فرائضى » . وأنا متمسك بكل هذا . وإن كنت أنا ضعيفاً عن حفظ ملكوتك فى داخلى ، وإن كنت مديوناً لك ، إلا إنى أقول لك :

تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ، إستله وانجح واملك .

العمل ليس عملى ، وإنما عملك أنت . تعال إذن واملك ...

إنزع بنفسك القلب الحجر ، وامنح القلب الجديد ،

واعطنى أن أستسلم لعملك فىّ ، كما يستسلم المريض لمشرط الطبيب ، فيقطع منه ما يلزم قطعه ، و يصل ما يحسن وصله . وهو بلا إرادة ولا وعى تحت مشرطه .

فلأكن يارب هكذا معك ، واعطنى قلباً جديداً ...

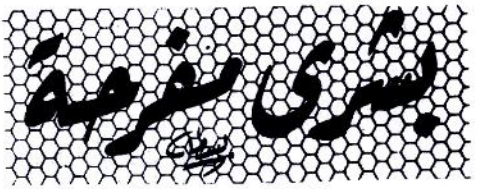

بشرى مفرحة

- بشرى مفرحة ...
- أسباب الفرح ...
- نظرة مستبشرة ...
- أفرحوا الناس ...
- فرح مهما كانت المتاعب ...
- ترنيمة العاقر ..
- أبشر بسنة الله المقبولة ...
- الله سينتصر فيك ...
- الفرح صورة مشرقة للدين ...
- أرجو لكم ...

محاضرة ألقيت في الكاتدرائية الكبرى بالعباسية مساء ٣١/١٢/١٩٧٦

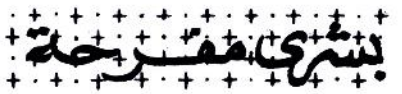

بشرى مفرحة

أود فى بداية هذا العام الجديد ، أن أكلمكم بكلمة أمل ورجاء ...

أود أن يشرق علينا هذا العام كنور، برسالة فرح من السماء. لأنه بميلاد ربنا **يسوع المسيح**، وُلد الفرح ، ووُلد السلام . وكان ميلاد الرب **بشرى فرح للجميع** .
وفى يوم ميلاده وقف الملاك يقول للرعاة :

« ها أنا أبشركم بفرح عظيم ، يكون لجميع الشعب »
« إنه ولد لكم اليوم ... مخلص » (لو ٢ : ١٠ ، ١١) .

ها أنا أبشركم بفرح عظيم » ... فى هذه العبارة نجد رسالة المسيحية كلها . لقد **جاءت المسيحية لكى تبشر** الناس بالفرح العظيم الذى يكون لجميع الشعب . لذلك **فكلمة إنجيل معناها بشارة مفرحة ،** أخبار سارة .

وكان الرسل يبشرون ، أى ينقلون هذه الأخبار السارة ... إلى جميع الناس . فيقولون لهم : قد أتى الخلاص .

ويوحنا المعمدان ، الذى هيأ الطريق أمام ربنا يسوع المسيح ، كان يبشر الناس بأنه **قد « اقترب ملكوت الله » (مت ٣ : ٢) .**

ونحن كرجال دين ، ليس لنا عمل سوى أن نبشر الناس بهذا الفرح العظيم . ورسالتكم **أنتم هى هذه ، أن تبشروا** الناس بهذا الفرح ... وأن تفرحوا معهم ... وأى فرح ؟

أن المسيح أتى بديانة مفرحة لجميع الناس ، تحمل لهم الخلاص .
وتحمل **لهم الفداء ، وتكسر أبواب الجحيم ،** وتفتح أبواب الفردوس ...

أتى المسيح برسالة تقول للص وهو على الصليب « **اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو٢٣ : ٤٣) ... رسالة تقول** لرئيس العشارين الخاطىء ، **مثال الظلم** والشر **فى جهله ، تقول له : اليوم** حدث خلاص لأهل هذا البيت ، **إذ هو أيضاً** إبن لإبراهيم **(لو١٩ : ٩) .**

إنها رسالة تبشر الأمم الغرباء ، **البعيدين عن رعوية الله** فى ذلك الحين ، الذين **كانوا محتقرين** من إسرائيل ، فتقول عنهم : **يأتون من المشارق** والمغارب ، ويتكئون

فى أحضان إبراهيم... فى ملكوت الله (مت٨: ١١، لو١٣: ٢٩).

الدين عموماً هو رسالة مفرحة للناس، وبشارة فرح لهم.

أسباب للفرح

« إفرحوا فى الرب كل حين. وأقول أيضاً إفرحوا » (فى ٤ : ٤).

« إفرحوا فى الرب » (فى ٣ : ١). إفرحوا بالصلح الذى تم بين السماء والأرض. إفرحوا فى الرب يسوع المسيح، الذى أتى ليصالح السمائيين مع الأرضيين، ويجعل الإثنين واحداً، ويكمل التدبير بالجسد.

إفرحوا لأن خطاياكم ستمحى. والرب لا يعود يذكرها (أر ٣١ : ٣٤).

إفرحوا لأن الرب سيغسلكم، فتبيضون أكثر من الثلج.

حقاً إنها بشرى مفرحة للناس... بشرى بالخلاص من خطاياهم، يقول فيها الرب «أعطيهم قلباً ليعرفونى إنى أنا الرب، فيكونوا لى شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً، لأنهم يرجعون إلىّ بكل قلبهم» (أر٢٤: ٧).

يقول أيضاً « أجعل شريعتى فى داخلهم، وأكتبها على قلوبهم» (أر ٣١: ٣٣). وماذا أيضاً يارب فى كلامك المفرح هذا؟ يقول:

« لأنى أصفح عن إثمهم. ولا أذكر خطيتهم بعد » (أر ٣١ : ٣٤).

حقاً مبارك هو الرب، فى كل عهوده المفرحة، التى ذكرها فى العهد القديم نبوءة عما سيفعله معنا فى هذا العهد الجديد.

ونحن فى هذه السنة الميلادية الجديدة، التى نذكر فيها أنه قد ولد لنا مخلص هو المسيح الرب (لو ٢: ١١)، «يخلص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١).

يلذ لنا أن نذكر عمله المفرح، كما رواه أشعياء النبى.

قال: روح الرب علىّ... ونحن نسأل: لماذا؟ لأية رسالة؟ فيجيب:

مسحنى لأبشر المساكين. أرسلنى لأعصب منكسرى القلب،

لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق،

لأنادى بسنة مقبولة للرب،

لأعزى كل النائحين ... لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد ،
ورداء تسبيح ، عوضاً عن الروح اليائسة .
(أش ٦١ : ١ - ٣) .

نعم ما أجملها رسالة مفرحة ، تبشر المساكين والمنكسرى القلوب .

تنادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق ...

وكلمة المأسورين تعنينا كلنا ... فكلنا كنا فى أسر إبليس ، مأسورين بالخطايا والذنوب . وكان الشيطان له سلطان ، قال عنه الرب لليهود « هذه ساعتكم وسلطان الظلام » (لو٢٢ : ٥٣) .

ثم جاء المخلص ، الذى ينادى للمأسورين بالإطلاق ، فهتف الملاك قائلاً للرعاة « ها أنا أبشركم بفرح عظيم » .

نظرة مستبشرة

لذلك نريد فى هذه السنة ، أن تكون لنا النظرة المستبشرة .

تكون لنا النظرة المتفائلة ، المملوءة رجاء ، التى دائماً ترى الفرح فى كل شىء ... لأنه كثيراً ما يوجد أشخاص يعقدون الأمور ، ويشيعون اليأس ، ويغلقون أبواب الرجاء المفتوحة ، ويكونون كالبوم التى تنعق منذرة بالخراب ... !

وهؤلاء ليس لهم صوت الله لأن صوت الله يقول :

ينادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق . يبشر المساكين ، ويعطيهم فرحاً عوضاً عن النوح . ولهذا يقول سفر أشعياء أيضاً :

ما أجمل قدمى المبشر بالسلام ، المبشر بالخير ، المخبر بالخلاص (أش ٥٢ : ٧) .

حقاً ما أجمل أقدام المبشرين بالخير ، المبشرين بالسلام ، الذين يغرسون الفرح فى قلوب الناس ، وينزعون الحزن من القلوب المكتئبة ، ويجعلونها تمتلىء بالفرح ... وهذه هى رسالة أولاد الله .

وقد كان هذا هو عمل المسيح له المجد ، يملأ الدنيا فرحاً وسلاماً ، يبهج قلوب الناس ، ويمسح كل دمعة من عيونهم (رؤ٧ : ١٧) .

كان يجول يصنع خيراً (أع ١٠ : ٣٨) .

يفرح قلب السامرية ، والمرأة الخاطئة ، والمضبوطة فى ذات الفعل ، ويفرح قلوب العشارين والخطاة ، ويرفع معنوياتهم بأن يحضر ولائمهم . ويبشر الناس بأن النور قد أضاء فى الظلمة ، وأنهم فى فجر جديد .

وقد تعلم الرسل هذا الأسلوب من السيد المسيح ، وإذا ببولس الرسول يقول «ثمر الروح : محبة ، فرح ، سلام ...» (غل ٥ : ٢٢) .

واضعاً الفرح فى مقدمة ثمار الروح ...

ويدعو الناس إلى الفرح الدائم ، قائلاً لهم « إفرحوا كل حين » (١تس ٥ : ١٦) ، «إفرحوا فى الرب كل حين» (فى ٤ : ٤) .

أو ليس هذا أيضاً هو ما قاله الرب لتلاميذه «تفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦ : ٢٢) . إذن انشروا رسالة الفرح .

إفرحوا الناس

إرسموا إبتسامة على كل شفة . واغرسوا الأمل والرجاء .

لا تشيعوا الكآبة . فإن الله لا يريدكم أن تحيوا فى كآبة ، هذا الذى أرسل ملاكه ليبشركم بفرح عظيم ...

ولكن لعل إنساناً يسأل : كيف يستطيع القلب أن يفرح ، وهناك أسباب كثيرة تدعوه إلى الحزن والتعب : أبواب مغلقة ، ومشاكل معقدة ، وخطايا تبعد عن الله ؟ ...

وأنا أقول إن الرجاء يحل كل هذا . فقولوا للناس :

كل مشكلة لها حل . وكل باب مغلق له مفتاح ...

وما أسهل أن تكون لكل خطية توبة ، ولكل خطية غفران . وكل خصومة مع الله تساعد النعمة أن توجد لها صلحاً ...

لذلك عيشوا باستمرار فى الرجاء . دربوا أنفسكم أن تكونوا كما قال الرسول «فرحين فى الرجاء» (رو١٢ : ١٢) .

وكونوا أنشودة فرح فى قلوب الجميع .

لا تجعلوا **إنساناً** ييأس مهما كانت الأسباب . وإن سدت الأبواب أمامه ، إفتحوا له **طاقة** من نور . واعطوه رجاء فى كل فروع الحياة ، مادية أو روحية . كونوا مبشرين بالخير ، ومبشرين بالسلام ...

قولوا لكل ضعيف : هناك قوة إلهية تسندك .

وقولوا لكل خاطىء : إن الله مستعد أن يخلصك « لأن الله يريد أن جميع الناس يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون » (٢تى ٢ : ٤) .

قولوا له إن الله مستعد أن يساعدك : فروحه القدوس يعمل معك ، ونعمته واقفة على بابك تقرعه . وملائكة الله حالة حولك لتنقذك ، وأرواح القديسين تشفع فيك . ووسائط النعمة ستأتى بفاعليتها .

كونوا رسالة رجاء ، ورسالة سلام ، وأفرحوا الكل .

قوموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة (عب ١٢ : ١٢) .

وقد أخذ معلمنا بولس هذه النصيحة من قول الوحى الإلهى فى العهد القديم على لسان أشعياء النبى « شددوا الأيادى المسترخية . والركب المرتعشة ثبتوها . قولوا لخائفى القلوب : تشددوا لا تخافوا . هوذا إلهكم ... هو سيأتى ويخلصكم » (أش ٣٥ : ٣ ، ٤) .

أريحوا الناس من متاعبهم على قدر ما تستطيعون ، فهكذا كان يفعل السيد المسيح الذى قال :

« **تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم** » (مت ١١ : ٢٨) . تعالوا إلىّ ، فأنا قد جئت إلى العالم لأحمل تعب الناس ، كما قال عنى أشعياء « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » (أش ٥٣ : ٤) . لقد جئت لأبشر المتعبين بالراحة . أتيت لأعصب منكسرى القلوب ، لأبشر المساكين ...

حتى القصبة المرضوضة ، والفتيلة المدخنة ...

قبل عن الرب « قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (مت ١٢ : ٢٠) . إنه يعطى رجاء للكل . هذه القصبة المرضوضة يعصبها ، ربما تشتد وتستقيم . وهذه الفتيلة المدخنة قد ينفخ فيها فتعود وتشتعل ...

إن السيد المسيح أراد أن يقدم لنا رسالة فرح ، ديانة فرح ... بشرى كلها رجاء ، بأن الملكوت قريب ، والخلاص قريب .

الله بحسب تعبه (١كو ٣ : ٨). والقديس يعقوب الرسول يقول «إحسبوه كل فرح يا إخوتى ، حينما تقعون فى تجارب متنوعة» (يع ١ : ٢).

وأولاد الله لا يرون فى التجارب والمتاعب شيئاً من التخلى ، بل يرون أن الله يفتقد بها أولاده لكى يهبهم نعماً.

الشهداء كانوا يفرحون ويغنون ، وهم ذاهبون للإستشهاد.

كما كانوا يحيون فى فرح ، كانوا فى فرح أيضاً يستقبلون الموت ، شاعرين إن الرباطات التى تربطهم بهذا العالم الزائل قد تمزقت. لذلك فهم فرحون أن يلتقوا بالله ، وفرحون بالأكاليل ، وفرحون بإتمام جهادهم على الأرض ، وفرحون بالقوة التى جعلتهم يثبتون فى الإيمان...

بولس الرسول كان فرحاً ، وهو فى السجن.

الضيقة دائماً خارجهم ، لا يمكن أن تدخل إلى قلوبهم . لذلك فقلوبهم فرحة وفى عزاء. لأن العزاء يأخذونه من داخلهم وليس من خارجهم. وفى داخلهم يوجد الإيمان بالله المحب الراعى المهتم بالكل الذى قال الكتاب عن إهتمامه ومحبته وحفظه :

« أما أنتم ، فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة » (لو١٢ : ٧).

لا تسقط شعرة واحدة منها بدون إذن أبيكم ، الذى نقشكم على كفه... الله الذى يحافظ حتى على العصافير، فلا يسقط واحد منها بدون إذنه ، وأنتم أفضل من عصافير كثيرة (مت ١٠ : ٢٩- ٣١).

لذلك كان أولاد الله فى كل ضغطاتهم ، يغنون للرب أغنية فرح ، و يسبحونه تسبيحة جديدة... و يأخذون بركة هذه الضغطات.

قيل عن الآباء الرسل الإثنى عشر ، بعد أن جلدوهم ، أنهم مضوا « فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل إسمه » (أع ٥ : ٤١) .

وأولاد الله كما يفرحون فى المتاعب ، يفرحون مهما كانت العوامل الخارجية تدعو إلى اليأس... كما فى ترنيمة العاقر.

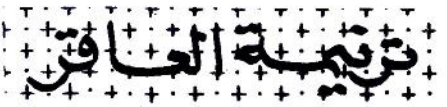

ترنيمة العاقر

إنها قطعة عجيبة فى الكتاب ، فى نبوءة أشعياء ، تدعو إلى الرجاء العجيب ، وإلى الفرح بالرب ، مهما كانت الظروف الخارجية . فهل هناك أصعب من ظروف العاقر التى لا رجاء لها فى إنجاب البنين ! أنظر ماذا يقول الكتاب لها . يقول وهو يحمل لها بشرى الفرح :

« ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد . أشيدى بالترنم » (أش ٥٤ : ١) .

كيف تترنم هذه ؟ وما دواعى الفرح أمامها ؟ فيجيب :

ترنمى ليس بما هو كائن ، إنما بما سوف يكون ...

وما الذى سوف يكون يارب ؟ يجيب فى رجاء :

« أوسعى مكان خيمتك ، ولتبسط شقق مساكنك » ،

« لا تمسكى . أطيلى أطنابك ، وشددى أوتادك » ،

« لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار » ،

و يرث نسلك أمماً ، و يعمر مدناً خربة » . (أش ٥٣) .

ويختم الرب هذه الأنشودة الجميلة بقوله :

لحيظة تركتك . وبمراحم عظيمة سأجمعك » (أش ٥٣ : ٧) .

إذن بالإيمان « أوسعى مكان خيمتك » . **سيكون لك أولاد ، وسيكثرون...** وتمتدين إلى اليمين وإلى اليسار... ألا يدعو هذا إلى الفرح ، فرح الرجاء ، الرجاء فى وعود الرب . لذلك أولاد الله فى فرحهم يكونون «غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى ، بل إلى التى لا تُرى» (٢كو٤ : ١٨) .

إنهم يفرحون لأنهم يحيون بالإيمان . وما هو الإيمان ؟ إنه :

الثقة بما يرجى ، والإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) .

ونحن نفرح بهذا الذى لا يرى . وبالإيمان نغنى أيضاً بترنيمة هذ العاقر، التى تكررت قصتها مع عاقر أخرى هى سارة إمرأة أبينا إبراهيم . ولم يكن لها ولد ، حتى أنها حينما سمعت وعد الرب ، ضحكت فى داخلها ، وفى يأس قالت « أبعد فنائى يكون لى تنعم ، وسيدى قد شاخ ... » (تك ١٨ : ١٢) .

ولكن غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله (مر ١٠ : ٢٧) .

هكذا قال الرب (لو ١٨ : ٢٧) ، ليجعلنا نرجو ونفرح ...

ولكى يثبت هذا لأبينا إبراهيم وزوجته العاقر . قال له : نسلك سيكون كنجوم السماء وكرمل البحر. إن استطعت أن تعد رمل البحر، تستطيع أن تعد نسلك !

وكأن سارة تقول : أنا يارب لست أجد إبناً واحداً فقط ، أفيكون لى نسل كعدد نجوم السماء ؟! هذا عجيب ... نعم ، فى الرجاء «ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد . أشيدى بالترنم ...

لا يأس فى الحياة مع الله ...

إنه الرب المعطى بسخاء ، الذى يفتح لنا كوى السماء ، الذى يفيض من محبته ورعايته على كل أحد ، الذى قال جئت لأعصب منكسرى القلوب ، وأبشر المساكين ، وماذا أيضاً ؟ يقول :

أبشر بسنة الله المقبولة

ما هى البشرى الطيبة التى تحملها فى هذه السنة المقبولة أمام الله ؟ ما هى بشراك يارب ، وكل سنواتك مقبولة ؟

جئت لأبشر شاول مضطهد الكنيسة بأنه سيصير بولس الكارز العظيم ... وجئت أبشر كثيرين من أمثاله :

أبشر موسى الأسود ، القاتل السارق الشرير ، بأنه سيصير القس موسى العظيم ، أب الرهبنة ، وصاحب القلب الحانى الطيب الوديع ... وأيضاً أبشره بأنه سيكون شهيداً ...

جئت لأبشر أوغسطينوس الفاسد ، الذى تبكى عليه أمه ، بأنه سيصبح كنز الروحيات والتأملات الذى تنتفع به أجيال كثيرة .

جئت لأبشر مريم القبطية الزانية بأنه ستصبح سائحة قديسة ، يتبارك منها الأنبا زوسيما القس .

جئت لأبشر المسبيين بالعتق ، والمأسورين بالإطلاق ،

جئت لأبشركم بسنة سعيدة مقدسة مقبولة أمام الله ، وأقول لكم إنه لا يوجد

شيء غير مستطاع عند الله ... ولا توجد مشكلة يعصى حلها على الخالق العظيم، الذى يفتح ولا أحد يغلق (رؤ٣: ٧).

جئت لأبشر الأرض المظلمة الخربة المغمورة بالمياه ...

الأرض التى قيل عنها فى سفر التكوين إنها خربة وخاوية ومغمورة بالماء، وعلى وجه الغمر ظلمة (تك ١: ٢). جئت أبشر هذه الخربة بأن روح الله يرف على وجه المياه، وأن الله سينيرها، ويقيم فيها كل نفس حية، مع جنات وبساتين، ويجعل فيها أزهاراً وزنابق، ولا سليمان فى كل مجده يلبس كواحدة منها...

وستكون هذه الأرض رمزاً لكل نفس خربة وخالية.

هذا هو الله المحب القادر، وهذه هى بشارته المفرحة.

لذلك كل من يعقد الطريق أمامك، لم يفهم الله بعد ...

الذى لا يذكر لك سوى الجحيم وجهنم والعذاب والبحيرة المتقدة بالنار والكبريت، ويعطيك صورة مسودة عن الأبدية، هذا لم يعرف الله بعد، وكلامه غير مقبول فى بداية سنة جديدة، نريد فيها بشرى طيبة.

الأولى إذن أن نبشركم بإلهنا الطيب الحنون، الذى غنى بمراحمه وإحساناته داود النبى، فقال فى مزمور ١٠٣ كلاماً جميلاً محبباً إلى النفس، نقتبس منه قوله:

باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل إحساناته».

ويتذكر المرتل فى فرح إحسانات الله إليه، ويذكّر بها نفسه فيقول:

الذى يغفر جميع ذنوبك،

الذى يشفى كل أمراضك، الذى يفدى من الحفرة حياتك،

الذى يكللك بالرحمة والرأفة، الذى يشبع بالخير عمرك،

فيتجدد مثل النسر شبابك (مز١٠٣).

ثم يذكر المرتل إحسانات الرب من جهة مغفرة الخطايا، فيقول:

لا يحاكم إلى الأبد، ولا يحقد إلى الدهر.

لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا

لأنه مثل ارتفاع السموت فوق الأرض، قويت رحمته على خائفيه

كبُعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا ...

إذن ليس هو إلهاً يترصد الخطايا ، ليدخل الناس إلى جهنم ...

إنه رحيم ورؤوف ، طويل الروح وكثير الرحمة ، يتراءف على خائفيه ، **كما** يترأف الأب على بنيه . ومادام هكذا فلنفرح إذن بالرب .

علينا إذن أن نفرح الناس ، لكى يطمئنوا إلى إله أخذ الذى لنا ، **ليعطينا من** الذى له . صار إبناً للإنسان ، ليجعلنا أولاداً لله ... هذا الذى أتى ليخلص شعبه من خطاياهم . « كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وُضع عليه إثم جميعنا » (أش ٥٣ : ٦) .

هناك أشخاص أفكارهم سوداء ، كلها قسوة وعنف وعدم مغفرة .

ويلقون ثيابهم السوداء على الله ، ليلبس كواحد منهم .

ولكن الرب ، كل ما فيه أبيض ناصع ، ما أبعده عن أفكار الناس السوداء . ونشكر الله أنه حتى الملائكة الذين ظهروا ، ظهروا بثياب بيض ، ثياب من نور .

إلهنا إله طيب . وتأكد أنه سيفتح لك طريق الخلاص ، وأنه سيخلصك من جميع خطاياك .

إنه لا بد سيفتقدك ، ولو فى آخر الزمان ...

ولو فى الهزيع الأخير من الليل ، ولو بعد أن يضطرب البحر ، ويخيل إليك أن السفينة ستنقلب ... إنه لن يتركك ، بل ستدركك رحمته ، ولو ساعة الموت أو قبيل ذلك بقليل ... نعم ، لن يتركك .

إن كانت الخطية أقوى منك ، فرحمة الله أقوى من الخطية .

إن كانت الخطية تزداد ، فالنعمة تكثر جداً ... إن خفت من الذين قاموا عليك ، فاعرف أن « الذين معنا أكثر من الذين علينا » (٢مل ٦ : ٦) .

إننا نحب أن نعيش فى فرح دائم ... تهب الأمواج ، وتهب الرياح ، وتسيل الأمطار ، وتتزلزل الجبال ... أما نحن فنسبح الرب تسبيحة جديدة . نغنى أغنية جديدة للرب . نعيش فى فرح « راسخين غير متزعزعين » (١كو ١٥ : ٥٨) ، واضعين فى أنفسنا حقيقة هامة ، وهى أن الله يتدخل فى كل مشكلة ، ليحلها .

الله يتدخل . والله أقوى من العالم .

إنه سينتصر فيك

إن الله قد غلب العالم . وقال لنا « فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يو ١٦ : ٣٣) . لقد غلبه فى القديم وفى الحاضر وفى كل حين . وهو قادر أن يغلب العالم فيك ، وبك . وهو مستعد أن يغلبه فى كل معركة روحية تقوم ضدك . إنه لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين » (مز ١٢٤) . إنما يعوزك فقط أن تقول له :

أرنا يارب رحمتك (مز ٨٤) . إمنحنا بهجة خلاصك (مز ٥٠) .

جميلة هى عبارة « بهجة خلاصك » . إن الرب قد جاء يقدم الخلاص ، ويقدم معه أيضاً بهجة خلاصه . لذلك نحن نبشر بسنة مفرحة ، بسنة الله المقبولة ...

سنة يعمل الله فيها عملاً مفرحاً وقوياً ...

نبشر بإله قوى ، أقوى من العالم ومن الشيطان ومن الخطية ... إله إنتصر فى حروب أولاده فى القديم ، وينتصر الآن ، وفى كل زمان ... إله يعطى المعيى قوة (أش ٤٠ : ٢٩) ، ويجدد مثل النسر شبابه ... إله أفرح كل الذين تبعوه ، وقادهم فى موكب نصرته (٢ كو ٣ : ١٤) . هذه هى البشرى التى نقدمها فى سنة جديدة .

فحاذر أن تنظر إلى العام الجديد بمنظار قاتم ...

حاذر أن تنظر إليه بمنظار اليأس أو الخوف أو القلق ... ولا تظن أن الأبواب مسدودة موصدة . أخشى أن تكون نفسك هى المسدودة . إفتح أذن حواسك الروحية ، لترى مراحم الله ومعونة الله وتفرح وتبتهج . أو أطلب من أليشع النبى أن يصلى من أجلك ، كما صلى من أجل تلميذه جيحزى ، ويقول :

إفتح يارب عينى الغلام ، فيرى (٢ مل ٦ : ١٧) .

وسترى جبل الله مملوءاً خيلاً ومركبات ، فتطمئن نفسك وتفرح . وستجد الرب قد فتح لك طريقاً فى البحر فتفرح . وستسمع داود النبى يرتل فى أذنيك قائلاً « نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الشياطين . الفخ انكسر ونحن نجونا » (مز ١٢٣) . ستسمع هذا من فم داود فتفرح .

إن القوة الإلهية موجودة . ولكن يعوزك أن تراها .

لا تقل فى بداية العام « لا توجد معونة » أو « أعطنى يارب معونة » ، إنما قل : أعطنى يارب أن أرى المعونة الموجودة فأمجدك « أرنا يارب رحمتك » (مز٨٤) .

إذن رسالة هذه السنة الجديدة ، هى أن نبشر بسنة الله المقبلة . نبشر الناس بفرح عظيم ، نبشرهم بخلاص الرب .

نبشر الضعيف بقوة تحيط به من فوق ...

نبشر اليائس بالأمل والرجاء . ونبشر الخاطىء بعمل النعمة فيه ، وبافتقاده من الروح القدس ليتوب ويرجع إلى الله .

نبشر الكل بأن الله يجول يعمل خيراً ، يجول فى كل مكان يشبع كل حى من رضاه ، ويمسح كل دمعة يراها فى عين كل إنسان .

هذه هى طريقة الرب ، الذى خلقنا للفرح ، وأعدنا لنعيم أبدى .

لذلك فالأبدية هى مكان للنعيم . والأبدية تعمل فينا .

نقول عن الأبدية فى صلواتنا « الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد » . والأرض أيضاً مكان خلقه الله للفرح « فرح للمستقيمين بقلوبهم » .

وعبارة « إفرحوا فى الرب كل حين » ليست هى مجرد نصيحة ، إنما هى أمر من الوحى الإلهى .

الفرح صورة مشرقة للدين

إن سرت فى طريق الله ، فلكتك الكآبة ، ستعطى صورة كئيبة عن الدين والحياة الروحية ، ويقول كل من يراك : هذا الإنسان كان هادئاً ومطمئناً ، وقلبه عامر بالحب والسلام . ولكن منذ أن تدين صار متجهم الملامح ، عابس الوجه ، يسير وهموم الدنيا كلها على كتفيه ، وأحزان العالم كله فوق رأسه . وهكذا يعثرون بسببك ، ويخافون من الحياة مع الله ومن الطريق الروحى .

فلماذا هذا الإتلاف ؟ إعط الناس درساً بفرحك . علمهم أن :

أولاد الله فرحون ، لأنهم وجدوا الله ، وعرفوه وعاشروه .

إنهم فرحون بملكوت الله داخلهم ، فرحون بعمل الروح القدس فيهم . فرحون بخروجهم من أسر إبليس وتخلصهم من خطايا عديدة . فرحون بالحياة الجديدة ،

بالحديث مع الله، والتأمل فى الإلهيات. فرحون بانطلاق أرواحهم من سلطان الجسد والمادة. فرحون لأنهم صار تحت قيادة الله المباشرة، وتحت رعايته، وقد ذاقوا ونظروا ما أطيب الرب، واختبروا جمال الحياة معه. وهم فرحون أيضاً لأنهم قد لبسوا ثوباً جديداً من الرب، بل قد لبسوا المسيح (غل٣: ٢٧).

هذه هى أسباب الفرح بالرب التى نبشركم بها.

إن وضعت كل هذا فى ذهنك فستفرح بالرب. أما إن ملكك الخوف من المستقبل، والخوف من الخطية، والخوف من السقوط، فهذا دليل على أنك نسيت عمل الله معك، وعمل فيه، وبشراه لخلاصك. واعرف هذا إذن:

إن كل قلق وخوف واضطراب ويأس، هو من عمل الشيطان.

هذا هو أسلوبه، يريد أن يزعجك ويخيفك، لكى تستسلم له وتترك جهادك الروحى، وتفشل... فلا تسمع له. فنحن لا نجهل أفكاره (٢كو٢: ١١). أما ثمار الروح فهى فرح وسلام. لذلك لما بشر الملائكة بميلاد المسيح قالوا:

«... على الأرض السلام، وفى الناس المسرة».

فلتكن المسرة إذن فى قلوب الناس، ولنعش فى حياة الفرح الدائم. نفرح بالرب كل حين، شاكرين فى كل حين، على كل شىء (أف٥: ٢٠).

أرجو لكم

أرجو لكم سنة سعيدة مباركة ثابتة فى الرب، تكونون فرحين فيها، مملوءين من الرجاء والبهجة، شاعرين بعمل الله فيكم، وعمل الله لأجلكم... وشاعرين أن قوة الله تظللكم، وأن يده فوق أيديكم، تمسك بأيديكم، وتعمل به، وتقود خطواتكم إليه.

وبهذه الروح تستقبلون العام الجديد، وأنتم لستم وحدكم، وإنما الله معكم، مصلين أن يكون عامنا الجديد عاماً سعيداً مباركاً. وفى نفس:

نحن نعلم أنه حسبما نكون، هكذا يكون عامنا...

كثير من أحداثه وأخباره وتاريخه، هى من ضعفنا نحن... بإمكاننا بنعمة الله العاملة فينا أن نملأ هذا العام خيراً وبراً... فيكون كذلك.

إن حياتنا فى أيدينا . ليست مفروضة علينا (١)

نحن نصنعها بحرية الإرادة الموهوبة لنا من الله ، لنسير فى **الطريق التى نشاء ...** **فهكذا ترك الله** لنا الحرية التى نقرر بها مصيرنا ...

وماذا عن عمله الإلهى إذن فى هذا العام ؟

إن نعمته مستعدة أن تعمل معنا الأعاجيب ، إن استسلمنا لعملها فينا ، ولم نقاوم الروح القدس الذى يريد لنا الخير.

الله يريد لنا الخير ، وبقى أن نريده نحن كذلك ، **فتتحد مشيئتنا مع مشيئة الله** الصالحة ... حينئذ تصير حياتنا كلنا خيراً ... حتى **إن صادفتنا عقبات أو تجارب أو** ضيقات ، تكون كلها للخير أيضاً .

لسنا محتاجين فى حياتنا الروحية إلى من يتنبأ لنا **كيف يكون عامنا الجديد** . إنما نحن محتاجون أن نفحص قلوبنا لنعرف .

قلوبنا هى مرآة المستقبل . هى التى ترسم صورة مستقبلنا .

القلب القوى النقى هو نبوءة عن مستقبل قوى نقى .

والقلب الضعيف هو نبوءة عن مستقبل ضعيف .

فلنصلِ إلى الله أن يعطينا قلوباً **طاهرة وقلوباً صامدة . ولنطلب إليه من أجل بلدنا** وشعبنا ، ليكون هذا العام عاماً سعيداً ، **مهما حاول عدو الخير أن يعرقل** عمل النعمة فيه . ليكن عاماً كله فرح . وكل عام وجميعكم بخير.

(١) هذه الصفحة هى من إفتتاحية مجلة الكرازة فى ١٩٧٥/١/٣

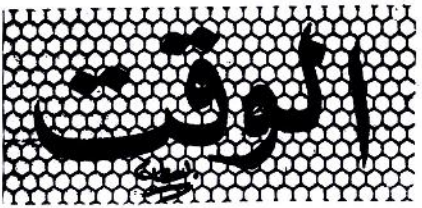

مختصرة عن محاضرتين ألقيتا فى الكاتدرائيه الكبرى بالعباسية
، إحداهما مساء الجمعة ٣١/١٢/١٩٧١ ، والأخرى مساء الجمعة ٢٥/٢/١٩٧٧

باسم الآب والإبن والروح القدس ، الإله الواحد آمين

يا إخوتى ، فى بداية عام جديد ، أود أن نتذكر حقيقة هامة وهى :

الحياة هى وقت . والذى يضيع وقته ، يضيع حياته .

كما أن الذى يستفيد من الوقت ، إنما يستفيد من حياته .

حياتك هى أيام وساعات ودقائق . وكما قال الشاعر :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحيـــاة دقائـــق وثوانى

وأنا اليوم أود أن أقول لكم : كل عام وأنتم بخير . وها قد مضى عام ، ونحن نستقبل عاماً جديداً...

ولست أدرى ، هل أبارك لكم فى العام الجديد ،

أم أعزيكم بمناسبة العام الذى مضى ... ؟!

فالعام المنقضى ، هو عام من حياة كل إنسان قد انقضى ، هو جزء من حياته قد مضى . هو خطوة قد خطاها نحو الأبدية ، واقترب بها نحو العالم الآخر... هو سجل من صفحات حياته سوف يعطى حساباً عنه أمام الله وملائكته .

وكل عام يمضى من حياتنا ، لا نستطيع أن نسترجعه مرة أخرى .

أصبح أمراً واقعاً ، مسجلاً علينا ، لا نستطيع تغييره .

ربما كانت لنا فى العام الماضى أخطاء : قد نندم عليها ، أو نتبرم بها ، أو نتركها ، أو نتوب عنها وتغفر لنا . ولكن مع ذلك لا نستطيع أن نلغى حدوثها . لقد حدثت وانتهى الأمر ، ولا نستطيع أن نغيِّر هذا أو ننكره . لقد أصبح تاريخاً ، ولم يعد فى إمكاننا أن نتصرف فيه...

لقد أنكر بطرس سيده . وتاب ، وغفرت له هذه الخطية . ولكنها أصبحت تاريخاً . غفرانها لم يمنع أنها حدثت ، بل يثبت حدوثها

وقد عاش أوغسطينوس حياة فاسدة . ثم تاب وتغيرت حياته إلى العكس . وأصبح كنزاً من روحيات . ولكن هذه التوبة وهذه القداسة لم تمنع ما قد تسجل فى صفحات تاريخه...

لذلك علينا أن ندقق فى كل دقيقة وكل تصرف .

فكل دقيقة هى جزء من حياتنا . وكل تصرف هو جزء من تاريخنا . وكل

دقيقة تمضى، لا نستطيع أن نسترجعها. وكل تاريخ لنا، لا نستطيع أن نلغيه أو ننكر وقوعه. ولقد أعطانا الله العمر، لكى نستغله للخير، ونحب الله فيه...

وأعطانا هذا العام الجديد، ليكون عاماً للحب والخير.

وإذا ضاع هذا العام بغير ثمر، يكون هدف الله من إعطائه لنا لم يتحقق. ترى كيف سنسلك فى هذا العام؟

هو صفحة بيضاء، لم نكتب فيها شيئاً بعد.

ترى ما الذى سنكتبه فى هذه الصفحة من صفحات تاريخنا؟ ماذا سنسجله على أنفسنا؟ ماذا سنحاسب عليه، عندما يقول الله لكل منا «**أنا عارف أعمالك**» (رؤ٢: ٢)؟ هل سنرضيه فى السنة المقبلة، ونفعل مشيئته، ونكون **أفضل حالاً مما** سبق؟

هل سنعتبر العام الجديد، وزنة نتاجر بها ونربح؟

هل ستكون كل دقيقة من دقائقه دسمة ومثمرة، ومملوءة بالخير والبركة، لنا وللآخرين؟ أترانا حريصين على كل دقيقة تمر من عمرنا؟ وهل كل ساعة من حياتنا ثمينة فى نظرنا، عزيزة علينا؟

هل نعتبر أنفسنا مجرد وكلاء على هذه الحياة؟

هذه الحياة، حياتنا، ليست ملكاً لنا، إنما هى ملك لله، وهبها لنا. ونحن مجرد وكلاء عليها. إنها مجرد وديعة منه فى أيدينا، ينبغى أن نكون أمناء عليها، وسنقدم حساباً عنها -جملة وتفصيلاً- حينما يقول لكل منا «**أعطنى حساب وكالتك**» (لو١٦: ٢).

فلنراجع أنفسنا إذن، ولننظر إلى حياتنا كيف هى؟

كل وقت مملوء بالخير، هو الذى سيحسب من عمرنا.

هو الوقت الحى فى حياتنا. أما الأوقات التى لا تستغل فى الخير، فهى ميتة، لا تحسب من الحياة، بل قد تميت غيرها معها. **فعلى ذلك أسألكم: كم هى** الأوقات التى ضاعت من عمركم ولم تحسب لكم. وكم هى **الأوقات المحسوبة من** عمركم، الحية المثمرة؟

كم هى سنو حياتكم الحقيقية على الأرض ؟

أنظروا إلى حياتكم ، وليسأل كل منكم نفسه : كم ساعة من العمر كانت لى مع الله ؟ وكم ساعة كانت للشيطان وللمادة وللجسد ؟ كم ساعة كانت مثمرة ، خيرة ، نيرة ؟ ليتنا نواجه أنفسنا فى صراحة وصدق ونسألها : كم هو الوقت الذى كان لنا فى عمرنا ، وكم هو الوقت الذى كان علينا وضدنا ؟

إنى أعجب ممن يبحث عن طريقة لقتل الوقت !

الذى يقتل الوقت ، إنما يقتل حياته ، لأن حياته هى هذا الوقت . مثل هذا الإنسان الذى يبحث عن أية طريقة يقضى بها وقته ، لكى يمر الوقت عليه بلا ملل... مثل هذا الإنسان ، لا يشعر بأن هناك قيمة لحياته ! إنه يعيش بلا هدف ، وبلا رسالة . حياته رخيصة فى عينيه ، لأن وقته رخيص فى عينيه ، لذلك يبحث عن وسيلة يقتل بها وقته !

وعكس ذلك الذين يقدرون حياتهم ، فيكون وقتهم مثمراً .

هناك قديسون عاشوا فترة قصيرة جداً على الأرض .

ولكنها فترة عجيبة الثمر ، إقتدرت كثيراً فى فعلها .

كل دقيقة من حياتهم ، كانت لها قيمة . وكان الله يعمل فيها .

خذوا مثالاً لذلك القديس يوحنا المعمدان : لقد بدأ رسالته وهو فى سن الثلاثين ، قبل بدء خدمة السيد المسيح بستة أشهر ، وانتهت خدمته باستشهاده بعد ذلك بقليل . كم كانت فترة خدمته إذن ؟ حوالى سنة على الأكثر .

وفى هذه الفترة القصيرة ، إستطاع أن يعد الطريق للرب ، ويهيىء له شعباً مستعداً ، ويكرز بمعمودية التوبة ، ويعمد آلافاً من الناس ، ويشهد للحق ويموت شهيداً . ويستحق أن يدعى « أعظم من ولدته النساء » (مت ١١ : ١١) ، كما دعى ملاكاً ...

إن الشهور التى قضاها يوحنا فى الخدمة ، كانت أثمن وأعمق بكثير من عشرات السنوات فى حياة خدام آخرين . كانت أثمن وأعمق بكثير من عشرات السنوات فى حياة خدام آخرين . كان وقته غالياً جداً ومثمراً ، ونافعاً لجيله كله ...

متوشالح الذى عاش ٩٦٩ سنة ، أطول عمر لإنسان على الأرض ، لم نسمع عنه أنه عمل أعمالاً عظيمة خلال مئات السنوات ، كبعض أعمال يوحنا المعمدان فى شهور... !

وكما تحدثت عن الحياة المثمرة القصيرة التى للمعمدان ،
يمكن أن أتحدث عن قديسين آخرين كبولس الرسول ...

الذى لو أتيح له أن يزور عالمنا ، ولو ليوم واحد ، لاستطاع فى هذا اليوم الواحد أن يعمل عملاً لا نستطيع نحن أن نعمل مثله فى مئات السنين... هذا القديس الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥ : ١٠)، وأسس كنائس عديدة فى أقطار كثيرة، ونشر الإيمان. وكان يكتب الرسائل حتى وهو فى السجن... كم كان وقت هذا القديس ثميناً، له، وللكنيسة كلها، عبر الأجيال الطويلة...

خذوا مثالاً آخر لساعة واحدة من حياة بطرس الرسول ، ألقى فيها عظة، فآمن على يديه ثلاثة آلاف من اليهود، واعتمدوا (أع ٢)... كم كانت تلك الساعة ثمينة، ليست مثل باقى ساعات الناس، وفاعليتها أكثر من فاعلية سنوات فى حياة الآخرين.

وهناك قديسون قضوا أوقاتهم بجدية فنموا نمواً مبكراً:

كالقديس تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس ، الذى صار مرشداً لكثيرين وهو لا يزال شاباً. وفى سنه الصغيرة أسس عدداً كبيراً من الأديرة وأشرف عليها، وصار الساعد الأيمن للقديس باخوميوس، واعتبره الكل كطاقة روحية جبارة، وهو بعد شاب... ويشبهه فى نموه المبكر القديس يوحنا القصير، الذى قيل عنه إن الإسقيط كله كان متعلقاً بأصابعه، وكان شاباً، ومرشداً لكثيرين...

نعم كثيرون كهؤلاء عاشوا حياة قصيرة ولكنها غالية.

عاشوا حياة مثالية ، قدموا فيها صورة حية لأولاد الله، وأدوا فيها رسالات عظيمة، وقدموا للعالم قدوة ومثالاً ونفعاً. وقيست حياتهم بمفعولها وليس بطولها. وكان مفعولها عجيباً...

ومثل تادرس ويوحنا القصير، نذكر الأنبا ميصائيل السائح.

هذا الذى كانت كل دقيقة من حياته الرهبانية لها عمقها الروحى وفاعليتها، حتى أنه صار سائحاً وهو فى حوالى الثامنة عشرة من عمره... وهكذا نما بسرعة كبيرة، لأن وقته كان ثميناً، لم يضيعه، بل استغله فى حياة النمو، بجدية لا تعرف التهاون مطلقاً...

ولعلكم وسط هذه الأمثلة تسألون : ما هو أعجب وقت عرفه التاريخ فى تأثيره وفاعليته ، فأجيبكم إنها الثلاث ساعات التى قضاها المسيح على الصليب ، من السادسة إلى التاسعة :

ثلاث ساعات على الصليب ، كانت كافية لخلاص العالم !

لا يوجد بالنسبة إلينا ، وقت أثمن من هذه الساعات الثلاث ، التى فيها سفك السيد المسيح دمه وقدم حياته كفارة عن خلاص العالم كله ... إن آلاف السنين لا يمكن أن تتوازن مع هذه الساعات الثلاث ، التى كانت بركة لكل الأجيال من آدم إلى آخر الدهور ، والتى محيت فيها خطايا العالم كله ، التى حملها المسيح عمن آمنوا به ... حقاً هذه الساعات الثلاث لا توازيها أجيال البشرية كلها .

وجزء من هذ الساعات ، كان لخلاص اللص اليمين .

إن كل العمر الذى عاشه ديماس اللص ، لا يمكن أن يقارن بهذه الساعات التى قضاها مع المسيح على الصليب . وكل أنواع اللذة والسعادة التى تمتع بها فى حياته ، لا يمكن أن تقاس باللحظة التى سمع فيها من فم الرب عبارة « اليوم تكون معى فى الفردوس » ... إنها أسعد لحظة فى حياته . عمره كله لا يساويها .

حقاً إن مقاييس الوقت ، تختلف فى طولها وعمقها .

إن ساعات قليلة من حياة إنسان ، قد تكون أطول وأعمق فى مفعولها ، من عمر كامل لإنسان آخر ، سواء من جهة الخير أو الشر ، النفع أو الضرر...

ساعة من حياة بطرس الرسول ، كانت سبباً لخلاص ثلاثة آلاف .

وساعة عكسية فى حياة داود النبى ، أخطأ فيها ، وظل يبكى بسببها حياته كلها ، و يبلل فراشه بدموعه ، وصارت دموعه شراباً له نهاراً وليلاً...

وأنت : هل وقتك صديق لك أم عدو ؟ ...

هل هو لك أم عليك ؟ هل تكسب فيه الحياة أم تخسرها ؟ هل تنمو فيه روحياً ، أم ترجع فيه إلى الوراء ؟ إسأل نفسك .

هل مرّ عليك يوم قلت عنه فى ندم : ليت هذا اليوم لم يكن من حياتى... فمشاكلى طول العمر هى من نتاج هذا اليوم ، الذى فيه ضيعت عمرى... !

ومن الناحية الأخرى : هل مر عليك وقت آخر كان له تأثيره الجميل فى حياتك وحياة الناس !

هناك أناس كانت حياتهم بركة لأجيالهم ...

لدرجة تجعل بعض الناس يقولون « لقد عشنا فى زمن فلان ، عشنا فى جيله وعاصرناه » . فهل أنت هكذا ، يفرح الناس لأنهم عاشوا فى أيامك وعاصروك وتأثروا بك؟ هل لك تأثير فى جيلك ، أو على الأقل فى دائرة معينة منه ، فى كنيسة ، فى خدمة ، فى بلد؟ هل لك وجود له تأثير وفاعلية و بركة؟ هل وقتك ترك خاتمه على غيرك؟

كثيراً ما يرتبط الجيل بالشخص ، و يتسمى بإسمه ، كما قلنا ...

ليس فى النطاق الروحى فقط ، بل والمدنى أيضاً .

فكثيرون يذكرون مثلاً عصر شكسبير ، الشاعر المعروف ، دون أن يعرفوا القادة الذين عاشوا فى عصره ، إلا الذين إرتبط بهم تاريخه ، فأعطاهم تاريخه شهرة... أو قد يتحدث البعض عن عصر مايكل أنجلو الرسام الإيطالى المعروف ، دون أن يعرفوا البابوات الذين عاشوا فى زمنه ، أو الأباطرة الذين عاصروه . لقد كان هو أشهر من فى الجيل كله ، فعرف الجيل كله به ، لأن وقت ميشيل أنجلو ترك آثاراً عميقة إستمرت حتى جيلنا هذا...

نقول هذا عن هؤلاء المشهورين ، ونقول من الناحية الأخرى :

هناك أشخاص آخرون ، عاشوا وكأنهم لم يولدوا !

قضوا فترة على الأرض ، وكأنهم غير موجودين ، كأنهم لم يخلقوا . لم يستفد العالم شيئاً من وجودهم ، ولم يحدثوا تأثيراً حتى فى الدائرة الضيقة التى عاشوا فيها... كان وقتهم بلا ثمر ، لم يستغلوه لمنفعتهم ولا لمنفعة أحد . لذلك صارت حياتهم فراغاً . فحاذروا أن تكونوا من هذا النوع ، بل إستفيدوا من وقتكم ، لبنيانكم و بنيان الآخرين... ولا أقصد أن يكون تأثيركم فى المجتمع الذى تعيشون فيه ، هو من أجل لفت الأنظار ، إنما من أجل إيمانكم بأن تكون لكم رسالة ، فى بناء ملكوت الله على الأرض...

إن كانت أيامكم السابقة بهذا الثمر ، فطوباكم . وإن لم تكن فاهتموا من بداية هذا العام الجديد أن تكون حياتكم مثمرة ، وأن يكون وقتكم غالياً ، وله فاعليته...

إحرصوا أن يكون هذا العام عام مثالى ...

عـــام مثـــالى

لو كانت أعوام حياتكم تتنافس فيما بينها ، فأى عام من هذه الأعوام يكون أفضلها ؟ ... لا تتعبوا أنفسكم فى فحص الماضى ، إنما ليت هذا العام الجديد يكون هو الأفضل وهو العام المثالى .

ليت هذه السنة الجديدة تكون أحسن سنوات العمر .

وليتنا نقول هذه العبارة فى كل عام جديد يطل علينا .

وكما يدرب البعض أنفسهم على يوم مثالى يقضونه فى أجمل وضع روحى ، هكذا ، فليكن لنا تدريب العام المثالى ، لنجعل كل يوم من أيام هذا العام يوماً مثالياً ، وكل ساعة فلتكن ساعة مثالية .

فليعطنا الرب هذه النعمة ، له المجد الدائم إلى الأبد آمين .

في هذا الكتاب

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

كيف تبدأ عاماً جديداً ؟

سواء كان هذا العام ، هو العام الميلادى ، أو العام القبطى فى عيد النيروز ، أو كان بداية عام فى حياتك ، فى يوم ميلادك ... أو بداية عام فى خدمتك ...

كيف تكون بداية روحية ... ؟

وكما نقول فى صلواتُ الأجبية « فلنبدأ بدءاً حسناً » ...

هذه هى رسالة هذا الكتاب إليك : مجموعة مشاعر يقدمها إليك ، ألقيت فى سهرات رأس السنة فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى .

إقرأها وعش بها . وليكن عامك عاماً مباركاً سعيداً ...

شنوده الثالث

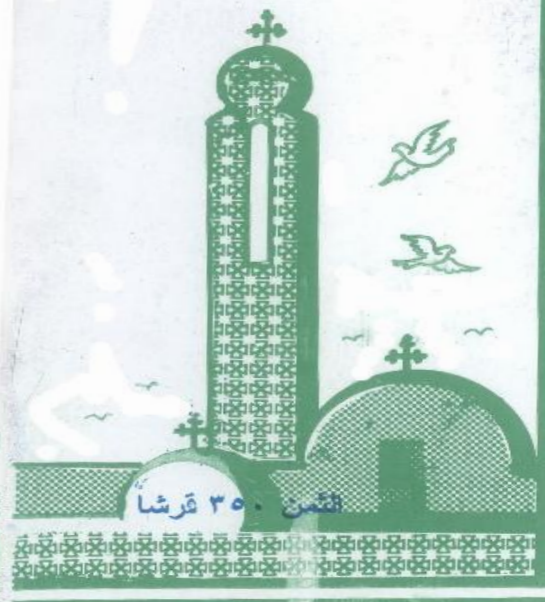

الثمن ٣٥٠ قرشاً